

قواعد الأخذ عند النورسي

وتطبيقاتها في العمل الإيجابي

- دراسة تأصيلية مقاصدية -

د. فرهاد إبراهيم أكبر الشواني

مدرس التفسير والدراسات القرآنية بكلية العلوم الإسلامية

بجامعة صلاح الدين/ أربيل - العراق

Email: farhad976@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
أما بعد:

فلو تأملنا هنية في عصرنا الحاضر لالتمسنا وقائع مريّة، وحقائق مؤلمة، ومشاهد
مفرّعة، يسوده جهلٌ مطبق، وفقرٌ مدقع، وسياساتٌ استبداديةٌ كذّابةٌ مسحّت الحقّ
والحقيقة، حتى انتفش الفسادُ وتنمّر أهلها، ونُصبت للإلحاد بيارق ترفرف على الآفاق،
فأصبح العالمُ راقصاً على نغمات الباطلِ وأهازيج الضلالِ في محافلِ الأوهامِ باسمِ الإنسانيةِ
والمدينةِ، فلا يكاد يُسمَعُ إلّا نقيق الضفادع وفحيح الأفاعي في المستنقعات الآسنة تليساً
للحقائق وتدليسا، وأمست البشرية سائحة في سراب المادية، وتائهة في دهاليز الحرية المزيفة،
تسوقها الأعاصير الهوجاء نحو السفاهة والبلادة، وأصبح الظلم معتمراً قلنسوة العدالة،
ولبست الخيانة رداء الحمية، وتبادلت الأضداد صورها.

ومما زاد الطين بلّة، والمرض علّة، والأمر سوءاً وتعقيداً أن المسلمين باتوا في سبات لا
يشعرون بما يحدث بهم من مخاطر، ولا يدركون ما يحيط بهم من شُرور، فالكل يغني على
ليلاه، حتى أضحوا فريسة للأجانب يمزّقونهم شرّ ممزّق.

فأمراض العصر هي نفسها أمراض الماضي، ووصفتها الطبية اتباع القرآن الكريم كما
خلص إلى هذا السرّ الإمام النورسي في رسائله النورانية مبيناً الأسس الرصينة، والقواعد

الشرعية الدقيقة المستوحاة من عموميات الأدلة من الكتاب والسنة والشريعة، مثل قاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ)، وقاعدة: (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)، وقاعدة: (الْأَخْذُ بِالْأَحْوِطِ).

فهذه القواعد الحكيمة الثلاث، والتي تبدأ بلفظ (خُذْ)، تعدُّ من أبرز القواعد الجامعة لمختلف الأعمال الإيجابية، وتطبيقها في الحياة كفيلة بجعل الإنسانية تسمو نحو الكمال والرفعة، فتستعيد بحجتها وسعادتها؛ ولأجل ذلك كان من الضرورة بمكان أن أستعرض تلکم القواعد الجليلة شرحاً وتأصيلاً، وأبيّن مقاصدها العظيمة وما تنطوي عليها من تطبيقات في العمل الإيجابي البناء من خلال دراسة متأنية، وقراءة واعية لرسائل النور، وعليه فقد كان عنوان البحث هو: (قواعد الأخذ عند النورسي وتطبيقاتها في العمل الإيجابي - دراسة تأصيلية مقاصدية-).

مشكلة البحث: نظراً لكثرة العوائق التي تقف أمام العمل الإيجابي، فإن هناك توجه يتصور صعوبة مواجهة هذه العوائق في هذا العصر على الخصوص مما يجعل الإنسان في تشاؤم وتراخ، بحيث يقف مكتوفي الأيدي أمامها.

هدف البحث: الوقوف عند قواعد مهمة في العمل الإيجابي، والسير في ظلال هذه القواعد للوصول إلى معالم العمل الإيجابي، وترسيخ دعائمه من حيث الفرد والمجتمع، وإبراز أهمية هذه القواعد وتأثيرها على العمل الإيجابي في علوم مختلفة، من: (أصول الفقه، والفقه، والسلوك)، وتحويل النظرة التشاؤمية إلى التفاؤلية الإيجابية من خلال هذه القواعد.

خطة البحث: قد اقتضت طبيعة البحث والمادة العلمية تقسيمها إلى مقدمة أردفتها بثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث عليها، فخصصت المبحث الأول للحديث عن قاعدة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ) من حيث تأصيلها، وبيان مقاصدها وتطبيقاتها في العمل الإيجابي وذلك في مطلبين، وأفردت ثانيه لبيان قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) مؤصلاً لها، وموضحاً مقاصدها في العمل الإيجابي، وركزت في ثالثه على قاعدة (الْأَخْذُ بِالْأَحْوِطِ) مبيناً أصلها ومقاصدها، وختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات آملاً أن أقطع شوطاً من خلال هذه النافذة العلمية في سبيل ترسيخ ونشر العمل الإيجابي البناء، ومدلوله في علوم متنوعة.

وفي الختام فيني أعتذر بسبب تجاوز صفحات البحث الحدّ المسموح، لأن التجول في رياض رسائل النور يزيد الإنسان حرصاً على اقتطاف ما يمكنه من ثمرات تلك الحديقة

الغناء، وشمّ أزاهيرها الفواحة العبقة.

فرسائل النور مدرسة ربانية لتربية الإنسان وتنميته من جديد، فكل عبارة منها بمثابة قاعدة كلية تستند على أصول قرآنية ونبوية تضم جزئيات كثيرة، ولأجل هذا السبب لم استطع في البحث اختزال الكلام.

ووصيتي للباحثين بعد الاعتذار منهم أن ينصبَّ اهتمامهم على القواعد والدساتير الواردة في رسائل النور بالبحث والتأصيل والبيان والتحقيق؛ ليكونوا شركاء في الأجر والثواب - أجر خدمة القرآن الكريم - بخدمة رسائل النور.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

قاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ) تَأْصِيلُهَا وَمَقَاصِدُهَا

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول

تأصيل قاعدة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ)

تعدُّ عبارة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ) من الأمثال السائر^(١) والحكم البليغة، وقد استعملها العلماء في أقوالهم وأشعارهم ومصنفاتهم^(٢)، ونظراً لعمق مفاهيمها وتشعب فروعها المعرفية وصفها الإمام النورسي - رحمه الله - بأنها قاعدة، بيد أن الفقهاء والأصوليين لم يدرجوها ضمن قواعدهم، وهذا لا يعني أنها غير جامعة للمقاصد الشرعية أو لا تندرج تحتها فروع فقهية، فالنورسي كما هو معروف لدى الجميع قد حاز شرف العلوم الشرعية والدينية بشهادة التاريخ، لذا يمكن أن يقال بأن هذه القاعدة هي قاعدة سلوكية تتضمن مقاصد شرعية.

(١) ينظر: المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري ٧٢/٢، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ١٦٤/٥، ولسان العرب، لابن منظور ١٣٤/٥.

(٢) أمثال: الغزالي في الإحياء ١٨٥/٢، وابن الجوزي في التبصرة ١٦٥/٢، والملا علي القاري في مرقاة المفاتيح ١٨٤/٩، وغيرهم.

خُذْ مِنْ خَلِيلِكَ مَا صَفَا وَدِعِ الَّذِي فِيهِ الْكُدْرُ^(١)

وقد استشهد به الغزالي فقال:

وقد أنشد الأديب الغزي^(٢) قصيدة يقول في مطلعها:

خُذْ مَا صَفَا لَكَ فَالْحَيَاءُ عُرُورٌ وَالِدَهُرٌ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَجُورُ
لَا تَعْتَبِرَنَّ عَلَى الزَّمَانِ، فَإِنَّهُ فَلَكُ عَلَى قُطْبِ اللَّجَاجِ يَدُورُ
فَانظُرْ لِنَفْسِكَ فَالسَّلَامَةُ نُهْرَةٌ وَزَمَانُهَا ضَافِي الْجَنَاحِ يَطِيرُ^(٣)

وأما ما يتعلق بتأصيل القاعدة فإنها مستلهمة من القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ لو دققنا النظر في عموم الأماكن والمواضع التي استشهد بها الإمام النورسي، أو في دلالاتها والأحداث والإرشادات التي جاءت بصددتها، لعلمنا أن لها أصولها الشرعية، كما سيتضح عند الحديث عن مقاصدها وتطبيقاتها في العمل الإيجابي في المطلب القادم، ومع ذلك نذكر بعض النصوص الشرعية التي تتضمن معاني هذه القاعدة:

أولاً: من القرآن الكريم.

١- قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية ١٢٧).

٢- قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (سورة النمل، الآية ٧٠).

٣- قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَجْءٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَجْءٌ مِثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٣٩-١٤٠).

٤- قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الحجر، الآية ٨٨).

(١) احياء علوم الدين ٢/١٨٥.

(٢) الأديب الغزي (٤٤١-٥٣٤هـ) إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الاشهي الغزي، أبو إسحاق: شاعر مجيد، من أهل غزّة بفلسطين. ولد بها سنة (٤٤١هـ)، وتوفي بخراسان سنة (٥٣٤هـ)، ودفن ببلخ. له ديوان شعر يقع في خمسة آلاف بيت. وكان قد باع في خراسان وكرمان نحو عشرة من مسودات شعره، قبيل وفاته، ينظر: الأعلام للزركلي ١/٥٠.

(٣) تاريخ ابن الوردي ٢/٣٥، خريدة القصر وجريدة العصر ١/٣٠٢.

٥ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزْفُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (سورة الأنعام، من الآية ١٥١).

ثانياً: من السنة النبوية

وأدّل حديث جامع لمعاني هذه القاعدة هو ما جاء عن عبد الله ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ: { يَا غُلَامُ، أَوْ يَا غُلَيْمُ، أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟ } فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: " أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرَّحَاءِ، يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ، فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا }^(١).

ووجه الاستدلال بهذه الآيات الكريمة والحديث الشريف هو: أن الله تعالى لما كان مالكا للكون ومدبرا لشؤونه، ومقاليده في يده، وإليه يرجع الأمر كله علانيته وسره، فلا ينبغي للمؤمن أن يجزع من سوء أصابه أو سيصبيه، وأن لا يخشى من فقر يداهم، بل يستوجب عليه الرضا والشكر والاحتساب والصبر، إذ ما دام قد عرف جهة البلاء استقر القلب راضياً واطمئن العقل خاضعا لحكم الله تعالى، فيغنم المؤمن حينها صفاء الفكر وهناء الروح.

المطلب الثاني

مقاصد قاعدة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ) وتطبيقاتها في العمل الإيجابي

لقد وظف الأستاذ النورسي هذه القاعدة لتكون نقطة استناد للإنسان بحيث يجعل أعماله كلها على صعيد واحدٍ من الإيجابية، فثمر عنها محاسنٌ تزيد من كمال دنياه، ورفعتها في الآخرة، فتطبيق هذه القاعدة يمنحه قوة معنوية تكون له مدار بهجة وسلوان، وفيما يأتي بيان لأبرز التطبيقات في العمل الإيجابي المستوحاة من هذه القاعدة العظيمة:

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٩/٥، برقم (٢٨٠٣)، وصححه محقق الكتاب.

أولاً: التسليم لقضاء الله وقدره والتوكل عليه في كل حال.

إن الإمام النورسي يجعل هذه القاعدة دستوراً سامياً لتذكير الإنسان بربه ومالكة الحقيقي، فما دام الوجود بأكمله هو ملك لله تعالى، ومقاليد الأمور بيده، وحكمه ماض فيه، وقضاؤه عدل، فلا ينبغي للإنسان أن يجزع من بلاء يصيبه، أو من فاقة تداهمه، أو من خوف ينتابه، فيقول ما نصّه: "إنَّ المُلْك كُلَّهُ له، دون استثناء.. وأنت أيضاً ملكه، كما أنك عبده ومملوكه، وأنت عامل في ملكه. فهذه الكلمة تفوح أملاً وتقطر بشرى شافية، وتقول: أيها الإنسان! لا تحسب أنك مالك نفسك، كلا؛ لأنك لا تقدر على أن تدير أمور نفسك.. وذلك حملٌ ثقيل، وعبء كبير، ولا يمكنك أن تحافظ عليها، فتنجّيها من البلايا والرزايا، وتوفّر لها لوازم حياتك، فلا تجرّع نفسك إذن الآلام سدىً، فتلقي بها في أحضان القلق والاضطراب دون جدوى، فالمملك ليس لك، وإنما لغيرك، وذلك المالك قادرٌ، وهو رحيم. فاستند إلى قدرته، ولا تنتهم رحمته، **دع ما كدر، خذ ما صفا**، انبذ الصعاب والأوصاب وتنفس الصعداء، وحُز على الهناء والسعادة"^(١).

فالنظر إلى الحياة الدنيا عند تطبيق هذه القاعدة يكون بمنظار اختيار ما هو الأسلم، والتحري عن ما هو أفضل وأجمل، فما دامت الحياة تنطوي على الخير والشر، والطيب والخبيث، والظاهر والقدر معاً، فالعاقل هو مَنْ يعمل بقاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ)، فيسير مع سلامة القلب واطمئنان الوجدان^(٢). فالتعويل على هذه القاعدة والاستناد عليها في الحياة العملية تعطي ثماراً يانعة تنفع الفرد لتجعله ينعم بهناء البال، وراحة الفكر، وسعادة الروح، وإليك بعض المقاصد المرجوة من وراء هذه القاعدة كما استخلصناها من رسائل النور:

١- صفاء الفكر، واستمداد القوة عند الابتلاء بالأمراض والأسقام، فمتى حصلت القناعة وترسخ الإيمان في قلب المريض ولّبّه بأن من ابتلاه بذلك هو نفسه القادر على أن يرسل الشفاء العاجل، ويذهب البأس عنه، وأن حكمته أوسع من أن يحاط بها، ورحمته لا حدّ

(١) المكتوبات، المكتوب العشرين ٢٧٦.

(٢) ينظر: الكلمات، الكلمة الثامنة ٣٧.

لها أصبح المرض بالنسبة إليه مكرمة وسلواناً، وصار مثله كمثل الخليل إبراهيم - عليه السلام - لما قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (سورة الشعراء، الآية ٨٠).

يقول النورسي: "أيها المريض الذي لا يطيق! إنَّ الإنسان لم يأت إلى هذه الدنيا للتمتع والتلذذ، والشاهد على ذلك: رحيل كل آتٍ، وتشيب الشباب، وتدحرج الجميع في دوامة الزوال والفراق. وبيننا ترى الإنسان أكمل الأحياء وأسمها وأغناها أجهزاً بل هو السيد عليها جميعاً، إذا به بالتفكر في لذات الماضي وبلايا المستقبل، يقضي حياته في كدرٍ ومشقة هاوياً بنفسه إلى دركاتٍ أدنى من الحيوان، فالإنسان إذن لم يأت إلى هذه الدنيا لقضاء عيش ناعم جميل مغمور بنسبات الراحة والصفاء، بل جاء إلى هنا ليغنم سعادةً حياةً أبدية دائمة بما يُسّر له من سبُل التجارة برأس ماله العظيم الذي هو العمر، فإذا انعدم المرضُ وقع الإنسان في الغفلة نتيجة الصحة والعافية، وبدت الدنيا في عينيه حلوةً خضرةً لذيدة، فيصبيه عندئذ مرضٌ نسيان الآخرة، فيرغب عن ذكر الموت والقبر، ويهدر رأسَ مال عمره الثمين هباءً منثوراً، في حين أن المرض سرعان ما يوقظه مفتحاً عينيه، قائلاً له: "أنت لست خالداً ولست سائباً، بل أنت مسخّر لوظيفة، دع عنك الغرور، اذكر خالقك، واعلم بأنك ماضٍ إلى القبر، وهيمى نفسك وجهزها هكذا". فالمرض إذن يقوم بدورٍ مرشد أمينٍ موقظ، فلا داعي بعدُ إلى الشكوى منه، بل يجب التفيؤ في ظلال الشكر - من هذه الناحية - وإذا ما اشتدت وطأته كثيراً فعليك بطلب الصبر منه تعالى" (١).

٢- الشعور براحة البال وسكينة الروح عند الابتلاء بضيق المعيشة وقلة الرزق، فالمبتلى بهذا الأمر إذا ما نظر إلى الجهة الحقيقية التي يأتي منها الرزق وهو الله الرزاق الذي لا تنفذ خزائنه تولدت في أعماق أحاسيسه الشعور بالرضا والطمأنينة، فما هو محدود اليوم يكون في الغد مبسوط ولا ممسك لرحمته جلّ وعلا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (سورة الذاريات، الآية ٥٨)، وقال: ﴿وَكَايُنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة العنكبوت، الآية ٦٠)، فالإمام النورسي قد وضح بأن: "الحقيقة التي تفيدها الآيات الكريمة...، حقيقة ذات كرم ينطق بها وينادى بلسان حال جميع المخلوقات المتنوعة من الأحياء. وليس الشيوخ الاقرباء وحدهم يأتيهم رزقهم رغداً بصورة بركة بل رزق حتى بعض المخلوقات التي وهبت

(١) اللمعات، اللمعة الخامسة والعشرون ٢٩١.

لمصاحبة الإنسان وصداقته كأمثال القطط. فان ارزاقها ترسل ضمن رزق الانسان، وتأتي بصورة بركة ايضاً. ومما يؤيد هذا، ما شاهده بنفسي من مثال، هو: كانت لي حصة من الغذاء كل يوم- كما يعلم احبائي القرييون- قبل سنتين أو ثلاث وهي نصف رغيف، وكان رغيف تلك القرية صغيراً، وكثيراً ما كان لا يكفيني، ثم جاءني أربع قطط ضيوفاً، وقد كفاني ذلك الغذاء وكفاهم، بل غالباً كانت تبقى منه فضلة وزيادة، هذه الحالة قد تكررت عندي بحيث اعطتني قناعة تامة من أنني أنا الذي كنت استفيد من بركات تلك القطط! وأنا أعلن إعلاناً قاطعاً الآن أن تلك القطط ما كانت حملاً ولا عبئاً عليّ ولم تكن تبقى تحت منتي، وانما انا الذي كنت ابقى تحت منتها"^(١).

ومن جانب آخر فإن العمل بمقتضى هذه القاعدة في مسألة الإيمان والتسليم بأن الرزق مقسوم، يكون سبباً للنجاة من الحرص على الدنيا واللهاث وراء متاعها، إذ أن الحرص بذاته سبب الخيبة والخذلان، وداء وبيل، ومهانة وذلة، وهو الذي يجلب الحرمان والدناءة، كما يقول الإمام النورسي^(٢).

٣- مجابهة المصائب ومقارعة الفتن، والتيقن بأن النصر حليف الصابرين، كما تعهد الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٥٥-١٥٦).

ولقد ترجم النورسي الآية الكريمة في أفعاله وأقواله مرشداً طلاب النور التبسم في وجه البلاء بالحمد والشكر، لتكتسب أرواحهم وأفكارهم صفاءً وهناءً، فيقول: "دع الصراخ يا مسكين، وتوكل على الله في بلواك. إنما الشكوى بلاء. بل بلاء في بلاء، وأثام في أثام في بلاء. إذا وجدت من ابتلاك، عاد البلاء عطاءً في عطاء، وصفاء في صفاء، ووفاء في بلاء. دع الشكوى، واغتم الشكر كالبلابل؛ فالأزهار تبتسم من بهجة عاشقها البلبل. فبغير الله دنياك آلام وعذاب، وفناء وزوال، وهباء في بلاء. فتعال، توكل عليه في بلواك! ما لك تصرخ من بلية صغيرة، وانت مثقلٌ ببلايا تسع الدنيا. تبسم بالتوكل في وجه البلاء، لبيتسم البلاء. فكلما تبسم صغر وتضاءل حتى يزول"^(٣). فعبارة النورسي: "إذا وجدت من ابتلاك، عاد

(١) المكتوبات، المكتوب الحادي والعشرون ٣٢١.

(٢) ينظر: المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرين ٣٣٦.

(٣) الكلمات، الكلمة السابعة عشرة ٢٢٤، والمكتوبات، المكتوب السادس ٣١.

البلاء عطاء في عطاء، وصفاء في صفاء، ووفاء في بلاء"، هي حقيقة عظيمة وتطبيق حي لروح قاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرْ)، فالذي ينبغي أن يعلمه الإنسان أنه مهما كان فاعلا ذا اختيار، إلا أن المشيئة الإلهية هي الاصل، والقدر الإلهي حاكم مهيم، والمشية الإلهية ترد المشيئة الانسانية، بمضمون قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ﴾ (سورة الإنسان، من الآية ٣٠)، وكما ورد في الأثر: {إذا جاء القدر عمي البصر} (١)، فينفذ حكمه، وإذا ما تكلم القدر تسكت القدرة البشرية، ويصمت الاختيار الجزئي (٢).

نعم إن ما يذكرنا بأهمية هذه القاعدة العظيمة في سكون الروح، ودعة الضمير والبال من حيث إسناد الأمر إلى من بيده الأمر والحكم، هو الإمام الشافعي لما قال منشداً:
 دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وطب نفساً إذا حكم القضاء
 وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي فما لحواذئ الدنيا بقضاء
 وَرِزْقِكَ لَيْسَ يُنْقِضُهُ التَّائِي وليس يزيد في الرزق العناء
 وَلَا حُزْنَ يَدُومُ وَلَا سُرُورَ ولا بؤس عليك ولا رخاء (٣)

والجدير بالذكر أن الأمام النورسي قد شرع في توظيف هذه القاعدة للتهدوين من الحزن والألم واليأس الذي يصيب المسجونين، فلو أنعمنا النظر في معظم الدروس التي ألقاها عليهم في فترات سجنه، نرى أنها مستوحاة من هذه القاعدة، فها هو يدعوهم أن ينسوا آلام الماضي؛ لأن في تذكرها ألم وحرقة، وكذا يوصيهم أن لا ينشغلوا بهموم المستقبل وما يخفيه من بلايا، فهو في حكم المعدوم، كي لا يصابوا باليأس فيتشتت صبرهم، بل يستوجب عليهم أن يفكروا في يومهم الذي يعيشون فيه، ويسخروا كل طاقاتهم في إداء الفرائض والتوبة من الذنوب، والتوجه إليه سبحانه بالشكر صابرين محتسبين (٤).

(١) ورد بهذا اللفظ كقول للترمذي في شعب الإيمان للبيهقي ٤٠٤/١، برقم (٢٤٨). وورد بلفظ: (إن القدر إذا جاء حال دون البصر) عند البيهقي أيضاً والحاكم كقول لابن عباس (رضي الله عنهما)، كما في مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس. ينظر: شعب الإيمان: ١/٤٠٣-٤٠٤ برقم ٢٤٧-٢٤٨، والحاكم في المستدرک: ٢/٤٤٠ برقم ٣٥٢٦، وقال: هو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) ينظر: المكتوبات، المكتوب الخامس عشر ٦٧.

(٣) ديوان الإمام الشافعي ٢٢.

(٤) ينظر: الكلمات، الكلمة الثالثة عشرة ١٦٥-١٦٦.

ومما ينبغي التأكيد عليه هو: أن المؤمن المبتلى لا بدّ له أن يفكر في النعمة المندرجة ضمن كل مصيبة، ويدع الآلام التي تسببها، إذ كما توجد درجة حرارة في كلّ شيء، ففي كلّ مصيبة توجد درجة من النعمة. فيقول النورسي: "شاهد درجة النعمة هذه في البلية الصغرى، وفكر بالعظمى واشكر ربك الرحيم. وإلاّ فكلما استعظمتها جفلت منها، لأنك إذا ما تأسفت عليها تستعظم وتكبر حتى تتضخم ويصيبك الرعب منها. وإذا ما زدتها بالقلق والأوهام، تتوأمّت بعد ان كانت واحدة، لأن صورتها الوهمية التي في القلب تنقلب إلى حقيقة ثم تعود تُنزل بضرباتها الموجعة على القلب"^(١).

ثانياً: الاستفادة من إيجابيات المدنية الحديثة ونبذ سلبياتها.

ترشدنا رسائل النور إلى ضرورة الاستفادة من جميع الأمور الدائرة في الدنيا بشكل إيجابي؛ ليستطيع الفرد بما يمتلكه من دراية كاملة، وخبرة فائقة أن يجعل حياته رغيدة ومليئة بالبهجة والسرور والراحة لا يكدر صفوها شيء، فيعود على نفسه بالخير وعلى من حوله بالنفع، فيكون مثله كمثل النحلة التي لا تقع إلاّ على الأزاهير والثمار المفيدة، تاركة المضرة منها؛ لذا كان عسلها دواءً ناجعاً لأمراض شتى، كما جاء عن النبي (ﷺ) أنه قال: {وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّبًا وَوَضَعَتْ طَيِّبًا وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسِرْ وَمَمْ تَفْسُدْ}^(٢).

ومن هنا كانت هذه القاعدة منهجاً للذين يبغون تحصيل الفائدة العلمية، وانتقاء ما هو أفضل وأحسن فيقول النورسي: "إذا ما دخلتُ بستاناً فلا أجنّ إلاّ الأجودَ من الثمرات، حتى إذا ما تعبتُ في قطفها أجد المتعة واللذة، ولو وقع نظري على الفاسدة منها، أصرفه عنها، آخذاً بالقاعدة: «خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ»... هكذا أنا، فأرجو أن يكون قرآني أيضاً مثلي"^(٣).

(١) ينظر: الكلمات، اللوامع ٨٥٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث طويل عن عبدالله بن عمرو بن العاص ٤٥٧/١١، برقم (٦٨٧٢)، وقال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح غير أبي سبرة وقد وثقه ابن حبان" ينظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥٢٨/١٠، برقم (١٨١٢١)، وصححه الألباني أيضاً في السلسلة الصحيحة ٣٦٠/٥، برقم (٢٢٨٨).

(٣) المثنوي العربي النوري ٤١٠.

وبناءً على ما سبق يلفت النورسي أنظار المسلمين قاطبة إلى ضرورة الاستفادة من التطور العلمي الذي انتحته المدنية الحديثة، ومحاولة استيراد النافع من العلوم الإيجابية لتوظيفها في خدمة الأمة الإسلامية وتقوية معالمها العمرانية والصناعية، ومن جانب آخر يؤكد ضرورة عدم الاقتداء بها، أو الانتفاع بما هو مخالف للأحكام الشرعية من عادات سيئة وأخلاق نابية، فيقول النورسي: "وبناءً على ما سبق لا ينبغي أن ننخدع، بل علينا أن نجعل القاعدة الآتية دستور عمل لنا وهي: **"خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرُ"**، وفي ضوءها سنأخذ من الأجانب - مشكورين - كل ما يُعِينُ على الرقي المدني من علوم وصناعات، أما العادات والأخلاق السيئة، فهي ذنوب المدنية ومساوئها التي لا يتبين قبحها كثيراً لكونها محاطة بمحاسن المدنية الكثيرة....، حاصل الكلام: سنمنع بسيف الشريعة مساوئ المدنية وذنوبها من الدخول إلى حدود حريتنا ومدنيتنا حفاظاً على فتوة مدنيتنا وشبابها بزلال عين حياة الشريعة، ينبغي لنا الاقتداء باليابانيين في المدنية؛ لأنهم حافظوا على تقاليدهم القومية التي هي قوام بقائهم وأخذوا بمحاسن المدنية من أوروبا، وحيث إن عاداتنا القومية ناشئة من الإسلام وتزدهر به فالضرورة تقتضي الاعتصام بالإسلام"^(١).

ثالثاً: الشروع في الدعوة إلى الله تعالى وتسليم النتائج إليه سبحانه.

لقد ربي الاستاذ النورسي تلاميذه على هذه الخاصية العظيمة التي هي من أساسيات العمل الدعوي المتأصل من آيات القرآن الكريم، فعمل الداعية بهذه القاعدة تجعله في حركة مستمرة ونشاط دائم لتبليغ ما وُكِّلَ إليه من مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الناس إلى السبيل الحق كما أمره الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة يوسف، الآية ١٠٨)، من دون أن ينشغل بالنتائج ومدى استحابة المدعو إلى دعوته، موكلاً الأمر إلى الله المتفرد بالهداية، فيغتم الداعي بذلك راحة البال، وصفاء الفكر تاركاً ما يعكّر مزاجه مستنداً على قاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرُ) المترشحة من فيض القرآن الكريم، وفي ذلك يقول النورسي: "أنه ينبغي الآ يفكر الإنسان - بما لديه من الجزء الاختياري- بالنتائج التي يتولأها الله سبحانه، فمثلاً: يزداد حماس بعض الاخوة وشوقهم إلى رسائل النور باستحابة الناس لها، فينشطون أكثر، ولكن

(١) صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية ٤٤٠، السيرة الذاتية ١١٠.

عندما لا يستجيب لها الناس، تفتر قوة الضعفاء المعنوية وتنطفئ جذوة شوقهم. والحال ان سيدنا الرسول الأعظم - ﷺ - وهو الاستاذ الأعظم ومقتدي الكل والرائد الاعلى قد اتخذ الامر الإلهي: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (سورة العنكبوت، من الآية ١٨)، دليلاً ومرشداً له، فكلما أعرض الناس عن الاصغاء وتولوا عنه ازداد جهاداً وسعياً في سبيل التبليغ؛ لأنه علم يقيناً أن جعل الناس يصغون ويهتدون إنما هو من شؤون الله سبحانه، وفق الآية الكريمة: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (سورة القصص، من الآية ٥٦)، فما كان يتدخل (ﷺ) في شؤونه سبحانه. لذا فيا إخوتي! لا تتدخلوا في أعمال وشؤون لا تعود إليكم، ولا تبثوا عليها اعمالكم، ولا تتخذوا طور الاختبار تجاه خالقكم^(١).

فالنورسي يوقظ في الداعية همّة الدعوة، لينهض بأعباء مهامه لإتمام هذا الواجب، حتى إذا ما أصيب الداعية بانتكاسة عدم الاستجابة له، لم تؤثر فيه فثبط همته، أو تخور عزيمته؛ لأن الآية الكريمة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية ١٠٥) تقرر أن ضلال الآخرين لا يضر هدايتكم، فلا تشغلوا بها. وينبها الإمام إلى الدستور المهم الذي يقول: (الراضي بالضرر لا ينظر له). أي: لا ينظر بعين العطف والشفقة لمن رضي لنفسه بالضرر، رغبةً وعلماً، فما دامت الآية الكريمة والدستور القويم يمنعاننا من العطف على الراضين. عن علمٍ بالضرر. فلا بد ان نحصر أوقاتنا وجميع قوتنا واهتمامنا في وظيفتنا المقدسة^(٢)، وقد مثل الإمام لتوضيح ذلك بتصرفات السكران المختار في شكره، إذ يعتد بتصرفاته وهو معاقب في ذلك؛ لأنه اختار الضرر لنفسه وبفسه، فلا تشمله أحكام الرخص، ولا تباح لأجلها المحظورات^(٣).

وذكر في موضع آخر مؤكداً هذه المعاني: "إن وظيفتنا العمل للإيمان والقرآن بإخلاص، أما إحراز التوفيق وحمل الناس على القبول ودفع المعارضين، فهو مما يتولاه الله سبحانه، نحن لا نتدخل فيما هو موكول إلى الله، حتى إذا غلبنا فلا يؤثر هذا في قوانا المعنوية وخدماتنا، وينبغي القياس وفق هذه النقطة، فقد قيل لجلال الدين خوارزم شاه وهو القائد العظيم في عهده: ستنتصر على جنكيز خان. فقال: (إن مهمتنا الجهاد، أما جعلنا غالبين أو مغلوبين

(١) اللغات، اللعة السابعة عشرة ١٨٣.

(٢) الملاحق، ملحق أميرداغ ١/٢٣٤.

(٣) ينظر: الكلمات، الكلمة السابعة والعشرون ٥٥٦-٥٥٧.

فهذا ما يتولاه الله سبحانه، ولا أتدخل أنا فيه)، فأنتم يا إخواني قد اقتديتم بهذا البطل، فتستمرون في العمل بإخلاص دون أن ينال منكم الضعف والوهن شيئاً^(١).

رابعاً: إرساء دعائم المحبة والإخاء بين المتخاصمين

إن من طبيعة الإنسان وسجيته بسبب ما يمتلكه من أنانية وحبّ للذات أن يضمّر العدا للخصم له، أو للذين قابلوه بالخصومة، فتراه يتلظى حقداً وكرهية، وقد بات يزفر من الغضب، وينفت من الغيظ مُقلباً مقلتيه علّه يشفي غليله من خصمه فينقض عليه منتقماً منه، فلا يبقى له أثراً ولا ظلاً. نعم! إن حرص الإنسان على الانتقام يجعله في كدر وهم، فلا بهجة ولا سرور، ولا راحة للبال إلا بأخذ الثأر، فتكون الحياة بالنسبة إليه جحيماً عاجلاً، وللحيلولة دون الوقوع في ذلك العذاب واللوعة، هو العمل بهذا الدستور السامي: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ) لينقذ نفسه من آلام الانتقام، ونار الغضب الذي يحرق حياته، ويسلب منه صفاء عيشه.

فمن مقاصد العمل بهذه القاعدة، ومن تطبيقاتها في إرساء دعائم المحبة والإخاء بين المتخاصمين نورد أمودجين على ذلك:

١- التأليف بين قلوب أولياء المقتول وأولياء القاتل عملاً بالآية القرآنية: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (سورة النساء، من الآية ١٢٨)، لأن في الصلح راحةً ودعةً وسكينةً، وبخلاف ذلك ستكون حياة كلا الطرفين في قلق وخوف مستمرين، فضلاً عن الشقاء والتعب من جراء الحرص على أخذ الثأر، وفي ذلك يقول النورسي: "لقد أخطر لقلبي أن أبين لكم حقيقة مهمة تنقذكم بإذن الله من عذاب الدنيا والآخرة وهي كما أوضحها بمثال: إن أحداً قد قتل شقيق شخص آخر أو أحد أقربائه، فهذا القتل الناجم من لذة غرور الانتقام التي لا تستغرق دقيقة واحدة تورثه مقاساة ملايين الدقائق من ضيق القلب وآلام السجن، وفي الوقت نفسه يظل أقرباء المقتول أيضاً في قلق دائم وتحين الفرص لأخذ الثأر، كلما فكروا بالقاتل ورأوا ذويه، فتضيع منهم لذة العمر ومتعة الحياة بما يكابدون من عذاب الخوف والقلق والحقد والغضب، ولا علاج لهذا الأمر ولا دواء له إلا الصلح والمصالحة بينهما، وذلك الذي يأمر به القرآن الكريم، ويدعو إليه الحق

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ ٢/٣٢٧، والسيرة الذاتية ٥٩٣.

والحقيقة، وفيه مصلحة الطرفين، وتقتضيه الإنسانية، ويحث عليه الإسلام. نعم، إن المصلحة والحقيقة في الصلح، والصلح خير؛ لأن الأجل واحد لا يتغير، فذلك المقتول على كل حال ما كان ليظل على قيد الحياة ما دام أجله قد جاء. أما ذلك القاتل فقد أصبح وسيلة لذلك القضاء الإلهي، فإن لم يحل بينهما الصلح فسيظلان يعانيان الخوف وعذاب الانتقام مدة مديدة؛... فيلزم الصلح فوراً؛ لأنه لولا الصلح لعظمت تلك المصيبة الجزئية ودامت، بينما إذا ما تصالح الطرفان وتاب القاتل عن ذنبه، واستمر على الدعاء للمقتول، فإن الطرفين يكسبان الكثير، حيث يدبُّ الحبُّ والتألفُ بينهما، فيصفح هذا عن عدوه ويعفو عنه واجداً أمامه إخوة أتقياء أبراراً بدلاً من شقيق واحد راحل، ويستسلمان معاً لقضاء الله وقدره، - ولا سيما - الذين استمعوا إلى دروس النور، فهم مدعوون لهجر كل ما يفسد بين اثنين، إذ الأخوة التي تربطهم ضمن نطاق النور، والمصلحة العامة، وراحة البال وسلامة الصدر التي يستوجبها الإيمان، تقتضي كلها نبذ الخلافات، وإحلال الوفاق والوئام"^(١).

٢- التأليف بين المختلفين في الآراء، واختيار الأنسب الأجمع من الأقوال، عملاً بالقاعدة الفقهية: (الخروج من الخلاف مستحب)^(٢)، فعندها تتقوض وتيرة العنف والعداء بين المتخاصمين، فما دام الجميع يدورون حول الحقيقة، وييغون الوصول إلى الحق، فلا داعي أن يكون هناك عداً ومخافة، فلا بدَّ أن ينصب الاهتمام في جمع الشمل ووحدة الكلمة، وينحصر التفكير في رأب الصدع، وجبر الكسر، وإنقاذ الأمة من التشتت والتفرق، فيقول الأستاذ ما نصُّه: "ليكن كلامك كله صدقاً ولتكن أحكامك كلها حقاً، ولكن عليك أن تدرك هذا: أنه لا حقَّ لك أن تبوح بالصدق كله. اتخذ هذه القاعدة دستوراً لك: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ)، فانظر بـجُحسَن وشاهد بـجُحسَن، ليكون فكرك حسناً، وظنُّ ظناً حسناً، وفكْر حسناً لتجد الحياة اللذيذة الهانئة، إن الأمل المندرج في حسن الظن ينفخ الحياة في الحياة، بينما اليأس المخبوء في سوء الظن ينخر سعادة الإنسان ويقتل الحياة"^(١).

(١) الكلمات، الكلمة الثالثة عشرة ١٦٧، والشعاعات، الشعاع الرابع عشر ٥٠٤.

(٢) الأشباه والنظائر، للسيوطي ١٣٦.

(١) الكلمات، اللوامع ٨٣٩.

فالنورسي بوساطة هذه القاعدة يعلمنا درساً في الصدق وحسن الظن وأدب التعامل مع الخصوم؛ لأن الصدق لا يثمر إلا راحة البال والنجاة^(١)، إذ هو منبع الحق والحقيقة، وكذا فإن حسن الظن يبعث الثقة في النفوس والراحة للقلب، فينجو الإنسان من شرّ الحفنة والغضب وتوهج الكراهية والحقد، فينام قرير العين صافي الذهن مرتاح الخاطر، وقد نجا من إثم سوء الظن.

ولقد حاول النورسي عملاً بهذه القاعدة توجيه طلابه إلى اعتماد حسن الظن دائماً مع منتقديهم، وأن لا ينشغلوا بما يؤول بهم إلى أن يصابوا بنوع من الكدر سداً لباب المحرمات، وحداً للأهواء والانفلات من الحدود الشرعية، فيقول ما نصّه: "إنه لا أهمية قطعاً لانتقادات خفيفة يوجهها إلينا بعض المتصوفة...، وعليهم ألا يتألموا منها، ولا يقابلوهم بالمثل بأيّ وجه من الوجوه. لأني أعدّ تلك الانتقادات نوعاً من النصيحة وضرباً من الالتفاتة والتكريم، حيث إنها واردة من أهل الإيمان، - ولاسيما - من أهل الطرق الصوفية - ولاسيما - ما كانت تمسّ شخصي بالذات، فأنا أسأحهم وأعفو عنهم، فتجاه الاضرار الرهيبة التي ينزلها بنا أهل الاحاد حالياً أعدّ تلك الانتقادات الطفيفة من إخواننا أهل الإيمان والتي تمسّ شخصي، توصية صديق شبيه بالتذكير والتنبيه لأخذ الحذر"^(٢).

خامساً: دفع وساوس الشيطان، وغلق جميع مداخله.

إن من مقاصد قاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ) ومن فوائدها عند التطبيق هو: غلق جميع مداخل الشيطان، والقضاء على جميع منابع الوسوسة التي تعصف بالمؤمن، فتوظيف هذه القاعدة من أجل تحقيق هذا المقصد يكون بعدم الخوف والانشغال بها، أو بالتحري عن السبب، وإلا فإن الشيطان يدخل في النفس عن طريق الوسوسة، ومن فقه الإمام النورسي إيجاد وجه الارتباط بين العلوم المختلفة في المفردات العملية، كما هو عليه النهج القرآني، فهنا نقف عند مسألة الوسوسة وأبعادها في علمي الفقه والعقائد الإسلامية، إذ من المسائل المختلف فيها بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة من الفرق الكلامية مبحث الحسن والقبح بين

(١) يروى عن النبي (ﷺ) أنه قال: {...} فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيَّةٌ. أخرجه الترمذي في سننه من حديث الحسن بن علي (رضي الله عنهما) ٦٦٨/٤، صفة القيامة والرقائق والورع - برقم (٢٥١٨)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٢) الملاحق، ملحق أميرداغ ٣٢٠/٢.

العقلي والذاتي، أو الشرعي، فقد ذهب إلى الأول المعتزلة، وإلى الثاني أهل السنة والجماعة، والإمام النورسي وظّف هذا الموضوع ورحّج الصواب بين الرأيين بمسألة فقهية، وهي نتيجة سؤال يوجهه القائم بالعبادات لنفسه، وهو يقول: تُرى هل صحَّ عملي الذي قمتُ به؟ ويقول الإمام النورسي في تحليل السؤال وجوابه: "إعلم، إنّ أمثال هذه الوسوس لا تليق إلاّ بالمعتزلة الذين يقولون: «إنّ أفعال المكلفين من حيث الجزء الأخرى حسنة أو قبيحة في ذات نفسها، ثم يأتي الشرع فيقرر أنّ هذا حسن وهذا قبيح. أي: إنّ الحُسن والقُبْح أمران ذاتيان موجودان في طبيعة الأشياء - حسب الجزء الأخرى-، أمّا الأوامر والنّواهي فهي تابعة لذلك وإقرارها». ولذلك فإنّ طبيعة هذا المذهب تؤدي بالإنسان إلى أن يستفسر دائماً عن أعماله: «تُرى هل تمَّ عملي على الوجه الأكمل المرضي كما هو في ذاته أم لا؟».. أمّا أصحاب الحقّ، وهم أهل السنة والجماعة فيقولون: «إنّ الله سبحانه وتعالى يأمر بشيء، فيكون حسناً، وينهى عن شيء فيكون قبيحاً» فبالأمر والنهي يتحقق الحُسن والقبح. أي: أن الحُسن والقبح يتقرران من وجهة نظر المكلف، ويتعلقان بحسب خواتيمهما في الآخرة دون النظر إليها في الدنيا، مثال ذلك: لو توضأت أو صليت، وكان هناك شيء ما خفي عليك يفسد صلاتك أو وضوئك، ولم تطلع عليه. فصلاتك ووضوءك في هذه الحالة صحيحان وحسان في آن واحد. وعند المعتزلة: أمّهما قبيحان وفسدان حقيقةً، ولكنهما مقبولان منك لجهلك، إذ الجهل عذر" (١).

ويقول في موضع آخر، وهو يبيّن سداجة الفكرة في الوسوسة: "أيها المبتلى المسكين! لا تحف ولا تضطرب؛ لأن ما مرّ أمام مرآة ذهنك ليس شتماً ولا سباً، وإنما هو مجرد صورٍ وخيالاتٍ تمرّ مروراً أمام مرآة ذهنك وحيث إن تخيل الكفر ليس كفراً، فإن تخيل الشتم أيضاً ليس شتماً، إذ من المعلوم في البديهية المنطقية: أن التخيل ليس بحكم بينما الشتم حُكْمٌ، فضلاً عن هذا فإن تلك الكلمات غير اللائقة لم تكن قد صدرت من ذات قلبك، حيث إن قلبك يتحسر منها ويتألم، ولعلها آتية من لمة شيطانية قريبة من القلب، لذا فإن ضرر الوسوسة إنما هو في توهم الضرر، أي أن ضرره على القلب هو ما نتوهم نحن من أضرارها؛ لأن المرء يتوهم تخيلاً - لا أساس له - كأنه حقيقة، ثم ينسب إليه من أعمال الشيطان ما

(١) الكلمات، الكلمة الحادية والعشرون ٣٠٧-٣٠٨.

هو برئ منه، فيظن أن همزات الشيطان هي من خواطر قلبه هو، ويتصور أضرارها فيقع فيها، وهذا هو ما يريده الشيطان منه بالذات" (١).

المبحث الثاني

قاعدة: (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) تَأْصِيلُهَا وَمَقَاصِدُهَا

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول

تأصيل قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)

تعد هذه القاعدة من الآثار الجليلة لبعض من الصحابة الكرام - رضوان الله تعالى عليهم-، فقد روي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال: {العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه} (٢)، وبمثله يروى عن ابن عباس (٣)، وعبدالله بن مسعود (٤) - رضي الله عنهما-، وكذا عن عامر بن شراحيل الشعبي (٥)، ومحمد بن سيرين (٦) وهما من كبار التابعين وأعلامهم.

هذا وقد استشهد بها الكثير من العلماء في أمثالهم وأشعارهم كالإمام والشافعي (٧) الغزالي (٨).

وجاء عن أحد الحكماء أنه قال: "أخذت من كل شيء أحسنه حتى انتهى بي الأمر إلى الكلب والهرة والخنزير والغراب، فقيل له: ما أخذت من الكلب؟ قال: إلفه لأهله وذبه عن صاحبه. فقيل له: ما أخذت من الهرة؟ قال: حسن تأنيها وتلقاها عن المسألة. فقيل: ما

(١) الكلمات، الكلمة الحادية والعشرون ٣٠٥.

(٢) الرسائل، للجاحظ ١٠٣.

(٣) ينظر: أدب الدين والدنيا، للماوردي ٥١، والبيان والتبيين، للجاحظ ٢٠٩.

(٤) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي ٣٧.

(٥) ينظر: حلية الأولياء ٤/٣١٤، وتهذيب الكمال ١٤/٣٨.

(٦) ينظر: العقد الفريد ١/١٥٧.

(٧) ديوان الإمام الشافعي ١١٨.

(٨) ينظر: احياء علوم الدين ١/٥٢.

أخذت من الخنزير؟ قال: بكوره من حوائجه. فقيل: ما أخذت من الغراب؟ قال: شدة حذره" (١).

وأما يتعلق بأصل القاعدة، فإن عمادها قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر، الآية ١٨)، فضلاً عن آيات كريمة أخرى تعدُّ أصلاً لهذه القاعدة، ومركز استمداد لها كما سنبين ذلك في المطلب الثاني خشية الإطالة والتكرار.

المطلب الثاني

مقاصد قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) وتطبيقاتها في العمل الإيجابي
إنَّ مضمون هذه القاعدة الجليلة تعبرُ عن جمالية الأخلاق التي تهدف رسائل النور ترسيخها، من حيث كونها تراثاً مترشحاً من بحر القرآن الكريم ومن فيوضاته العلية، إذ أن هذا الدستور العظيم لا يدع مجالاً للشك أن الدرس الإيماني الذي يؤخذ من رسائل النور بأمانة التطبيق العملي لمؤلفه، والترجمة الفعلية لطلابه الميامين المخلصين قد أضفت الحسن والبهاء على ربوع الديار التركية آنذاك بعد أن سعى المفسدون إلى اجتثاث القيم والأخلاق والمعتقدات الإسلامية من قلوب أهلها الذين طالما كانوا حماة لهذا الدين الحنيف، وحراس حوزته.

ليت شعري أي ترياق في الكون، وأي مؤلف يمكنه أن يمنح الإنسانية مثل هذه الطمأنينة والسكينة مثلما تمنحها رسائل النور؟ وأي دستور يمكنه أن يعيد البهجة والسرور والرفاهية إلى البشرية مثلما تعيدها الدساتير القرآنية المتجلية أنوارها على رسائل النور؟
حقاً، فإن الحسن النابع من تلك القاعدة والتطبيق الحي لها من قبل طلاب النور يجلب الاهتمام للتفتيش عن المقاصد الجليلة، والحكم الرشيدة التي تشعها أنوار هذه القاعدة، فبالبحث في رسائل النور وإمعان النظر في سطورها يكشف لنا مجموعة من المقاصد الحيوية والتطبيقات الجوهرية في العمل الإيجابي التي يمكن أن تستنبط من تلك القاعدة لتكون مدرسة إيمانية تعلم حقائق الإسلام وقيمه النبيلة، وفيما يأتي بيان لأهم المقاصد والتطبيقات الإيجابية المستخلصة من هذه القاعدة:

(١) زهرة الأكم في الأمثال والحكم ١٨٦.

أولاً: النظر إلى محاسن الأشياء وصرف النظر عن سلبياتها.

تشارك هذه القاعدة مع قاعدة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ) في هذا المقصد الإيجابي، فهو وسيلة لصفاء الفكر، والخلاص من المنغصات والكدر، فمعطيات القاعدة هي: النظر إلى جميع الأمور بما فيها من آلام وأحزان، بل وحتى الأفراح والمسرات بأنها من تقدير الله العزيز الحكيم، وأن ما يعرض للإنسان من مصائب في جسده أو ماله أو ولده ما هو إلا امتحان في دار الدنيا ليعرف الصابر من الساخط، ولِيتميز الشاكر من الكافر، فضلاً عن كونها تجربة نافعة يمكن أن يستفاد منها المُبتلى في بناء ذاته وإعادة كيانه والنهوض بما يروم إليه من خير، ومن جانب آخر فإن تلك المصائب كفّارات للذنوب، ماحيات للخطايا، رافعات للدرجات والمقامات.

واستناداً على ما ذكرنا، حاول بديع الزمان أن يوظف هذه القاعدة في إعادة تأهيل المساجين مرشداً لهم بقوله: "بمضمون: (من آمن بالقدر أمّن من الكدر) وكذا حسب القاعدة الحكيمة: (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)، وكذا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر، الآية ١٨). فحسب هذه الآية الجليلة والقواعد السابقة علينا أن ننظر إلى الجهة الحسنة من كل شيء والوجه الجميل المبشّر منه لكي لا تشغل قلوبنا بما لا يعني من الحالات القبيحة العابرة التي لا حاجة لنا إليها، بل هي مضرّة تورث الضيق والانقباض. ولقد ذُكر في (الكلمة الثامنة): رجلاّن يدخل أحدهما الحديقة بينما يغادرها الآخر، فالحظوظ السعيد هو الذي ينظر إلى الأزاهير وما شابهها من الأشياء الجميلة في الحديقة، فينشرح ويرتاح ويهنأ، بينما الآخر الشقي يحصر نظره في الأمور القدرّة الفاسدة لعجزه عن التنظيف، فينتابه الغثيان ويتضايق بدلاً من أن ينسّر في الحديقة، ويتركها هكذا^(١)، هذا وإن صفحات الحياة الاجتماعية البشرية الحالية ولاسيما "المدرسة اليوسفية" هي بمثابة حديقة، فيها أشياء قبيحة وحسنة معاً وفيها أمور مخزنة ومفرحة جنباً إلى جنب، فالكيّس من أشغل نفسه بالأمور الجميلة من دون

(١) ينظر: الكلمات، الكلمة الثامنة ٣٤، وفيه يقول النورسي: "أما هذا الأخ فعملاً بقاعدة "انظر إلى الأحسن من كل شيء" فقد أهمل الجيف ولم يلتفت إليها مطلقاً، بل استفاد مما في البستان من الأشياء والفواكه. وبعدما استراح فيه الراحة التامة مضى إلى سبيله".

أن يعبأ بالقيحة والفسادة منها، فيشكر ربّه وينسّر في موضع الشكوى والقلق"^(١). فخلاصة القول: أن النورسي يعلّمنا درساً في الإيجابية اختصره في العبارة الآتية: "أن من أحسنَ رؤيته حَسُنَتْ رويته وتفكيره، فتحسُنْ رؤياه، ويستمتع بحياته"^(٢).

ثانياً: أدب الحوار مع المخالفين، والاعتراف بالآخر.

استطاع النورسي من خلال دعوته الإيمانية استقطاب كثير من الناس ومن كافة الطبقات والتوجهات المتباينة، وما ذلك إلا بفضل اتخاذه لقاعدة: (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)، فالمتأمل في رسائل النور يجد أن معظم خطاباتها قد تأسست على هذا الأصل العظيم الذي يتضمن اتخاذ الأحسن من الطرق وأصوبه في الحوار مع الخالفين، على وفق اعتماد الحكمة، والموعظة الحسنة، والأدب الرفيع، ومن دون تجريح للمقابل، أو استهانة بكرامته، كما أمر الله تعالى بذلك: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل، من الآية ١٢٥).

وتعكس لغة رسائل النور تجليات هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات القرآنية في خطاباتها، فيقول النورسي: "ومن هنا فيإني أحال أن سبباً من أسباب عدم تأثير نصيحة الناصحين في هذا الزمان هو: أنهم يقولون لسببي الخلق: لا تحسّدوا. لا تحرصوا. لا تعادوا. لا تعاندوا. لا تحبّوا الدنيا، بمعنى أنهم يقولون لهم غيروا فطرتكم. وهو تكليف لا يطيقونه في الظاهر، ولكن لو يقولون لهم: اصرفوا وُجُوهَ هذه الصفات إلى أمور الخير، غيروا مجراها، فعندئذ تجدي النصيحة وتؤثر في النفوس، وتكون ضمن نطاق إرادة الإنسان واختياره"^(٣).

وحرري بالذكر أن الإمام النورسي لا يريد طرح المسائل. الإيمانية والفرعية. على طريق المناقشة؛ لأنه غالباً ما لا تتوفر الشروط العلمية في مناخ مناقشة المسائل الإيمانية - على الخصوص-، وبالتالي تحكمها الأهواء ولا تفي بنتيجة جيدة، ثم الإيمان موضعه القلب، والقلب يريد الحوار الهادئ، وينفر من الضغط والإجبار والإكراه، بل يثير الإكراه فيه عرق التعصب والتزمت والحمية، فلا يترسخ الإيمان إلا في جو يسوده الهدوء والسكينة، والحاكم فيه العقل والمنطق السليم والدليل، فلذلك لا بدّ أن نعامل الخصم على أساس

(١) الشعاعات، الشعاع الرابع عشر ٥٣٠، وينظر: الشهود الأواخر، شهادة محمد قايهان ٢٦٩.

(٢) صيقل الإسلام، المناظرات ٣٧٥.

(٣) المكتوبات، المكتوب التاسع ٤٢.

الصدّاقة، ونبئ له أننا نطلب العلم والحقيقة ونريد هما، وإذا كانت المناقشة لا بدّ، فهي مقبولة بجملة من الشروط، جمعها في قوله: "لا يجوز بحث المسائل الإيمانية الدقيقة... بشكل مناقشات جدلية من دون ميزان، ولا أمام جماعة من الناس، إذ تتحول الأدوية عندئذ إلى سموم؛ لأنها دون ميزان، فتضر المتكلمين والمستمعين معاً، وإنما يجوز ذلك عند: فراغ البال، وسكون القلب، وتوقّر الإنصاف عند الباحثين، وتداولاً فكرياً ليس إلا"^(١). وكما سبق، فالأستاذ لا يريد المناقشة حتى في الفروع الاجتهادية الفقهية، فهو يريد ممّا أن لا نتعصب لرأي دون آخر، فيقول: "فالضلالة والزندقة تستغل الاختلاف في هذا العصر، حتى إن هناك تيارات قوية تجعل أهل الإيمان في حيرة من أمرهم...، لذا لا ينبغي فتح باب المناقشة في الأمور الفرعية الجزئية التي تسبب الاختلاف..."^(٢).

بل ويجعل النورسي حسن الخطاب أساساً لإقناع الخصوم وليس بالضغط والإجبار، وإن تحسّي الحقيقة لا يكون إلاّ بالمحبة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب^(٣)، فاستطاع بفيض من القرآن الكريم مداواة جراحاتهم بأجمع دواء وفق دساتير قرآنية عظيمة مثل قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (سورة الإسراء، الآية ٥٣)، وقوله عزّ وجل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (سورة البقرة، من الآية ٨٣)، وقول تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٦٣). فهذا هو يقول -رحمه الله-: "إن الواقع يشهد: أن مخاطبة الفاسد بقولك له: "إنك صالح، إنك فاضل...". ربما يدفعه إلى الصلاح، وكذا مخاطبة الصالح: "إنك طالح، إنك فاسد...". ربما يسوقه إلى الفساد، لذا استمع بأذن القلب إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُؤًا بِاللَّغْوِ مَرُؤًا كِرَامًا﴾ (سورة الفرقان، الآية ٧٢)، ﴿وَإِنْ تَعَفُّواْ وَنَصَّحُواْ وَتَغَفَّرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التغابن، الآية ١٤)، وأمثالها من الدساتير القرآنية المقدسة، ففيها التوفيق والنجاح والسعادة والأمان"^(٤).

(١) المكتوبات، المكتوب الثاني عشر ٥٧.

(٢) الملاحق، ملحق أميرداغ ٢٨٠/١.

(٣) ينظر: صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية ٤١٨، والسيرة الذاتية ١٢٠.

(٤) المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون ٣٢٨.

فالتابع الخطابى الحكيم الذى تميزت به رسائل النور من حيث اعتمادها الأحسن فى المحاور، والأفضل فى المحاججة قد آتت أكلها وأينعت ثمارها بفضل الله على كثير من المتعصبين، بل وحتى على الملحدى والنصارى بأن دخلوا فى دائرة رسائل النور، فىقول الأستاذ النورسى: "ولما كانت حقيقة الاخلاص محفوظة فىه حفظاً تاماً يستطيع اى نوع من أنواع أهل الإسلام الدخول فى دائرة رسائل النور، فالمتعصب فى تشيعه، والمغالى فى وهابيته، وأشد الفلاسفة مادية وعمقاً فى العلم، وأكثر العلماء أنانية وتزمتاً، قد بدأوا بالدخول معاً فى دائرة النور ويعيش قسم منهم الآن إخوة متحابين فى تلك الدائرة، حتى أن هناك أمارات بدخول مبشرين نصارى من الروحانيين الحقيقىين فى تلك الدائرة، لما يشعرون بضرورة الترابط والمصالحة، طارحين مواد المناقشة والمنازعة جانباً"^(١).

ثالثاً: اختيار الرفيق الأمثل المعين على تحقيق الحاجات الدينية والدنيوية

إن قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) عامة فى جميع ما يعود على الإنسان من خير فى الدين والدنيا معاً، فمقاصد القاعدة تتعدى إلى جوانب كثيرة استعرضها النورسى فى رسائله وإن لم يدلل عليها بذكر القاعدة فى كل مرة، ولكن بعد البحث فى مضامين رسائل النور نلتمس تطبيقات كثيرة عليها، وهى تركز على ضرورة اختيار رفيق أمثل، وصاحب أكمل يكون للإنسان فى الدنيا معيناً وعلى آخرته حفيظاً، وفيما يأتي بيان لأنموذجين على هذا التطبيق:

١- اختيار زوجة صالحة أو زوج صالح يكون كل منهما مدار سلوان للآخر، يتشاطران الهموم والأحزان والأفراح والمسرات بينهما، ويكون كل واحدٍ منهما للآخر حفيظاً على دينه وأميناً على سعادة آخرته، فالحياة العائلية فى نظر النورسى تعد مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها، وهى جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين، وأن بيت كل فرد هو عالمه ودينياه الخاصة^(٢)، ولأهمية هذا الأمر نجد أن النورسى قد أكد على ضرورة اختيار الرجل أو المرأة للشريك الأمثل، تحقيقاً للمقاصد الدينية والدنيوية، فقاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) تقتضى أن تكون مرتكزاً لتحقيق هذا المقصد

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ / ١ / ٢٨٦.

(٢) ينظر: الكلمات، الكلمة العاشرة ١٠٣، والشعاعات، الشعاع التاسع ٢١٥.

وهو الزواج على أساس الكفاءة، فيقول: "إن ما هو مطلوب شرعاً: أن يكون الزوج كفوئاً للمرأة، وهذا يعني ملاءمة الواحد للآخر ومماثلتهما، وأهم ما في الكفاءة هذه هي كفاءة الدين كما هو معلوم. فما أسعد ذلك الزوج الذي يلاحظ تدين زوجته ويقوم بتقليدها، ويصحح ذا دين، لئلا يفقد صاحبه الوفية في حياة أبدية خالدة! وكما هي محظوظة تلك المرأة التي تلاحظ تدين زوجها وتخشى أن تفرط برفيق حياتها الأمين في حياة خالدة، فتتمسك بالإيمان والتقوى. الويل ثم الويل لذلك الرجل الذي ينغمس في سفاهة تفقده زوجته الطيبة الصالحة. ويا لتعاسة تلك المرأة التي لا تقلد زوجها التقى الورع، فتخسر رفيقها الكريم الأبدى السعيد، والويل والثبور لذنيك الزوجين الشقيين اللذين يقلدان بعضهما البعض الآخر في الفسوق والفحشاء، فيتسابقان في دفع أحدهما الآخر في النار"^(١).

ولقد اقتطف النورسي كلامه هذا من ثمار السنة النبوية الياضعة الطيبة، كقول النبي الكريم - ﷺ -: {تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِحَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاطْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ} ^(٢). ولقوله - ﷺ - فيما روته عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها: {تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ، وَأَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ} ^(٣).

وبناءً على قاعدة (حُدُّوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) المستلهمة من نصوص السنة النبوية الشريفة، يرشد النورسي طلابه ضرورة اتخاذ المرأة الصالحة زوجة لهم، فيقول: "وإذا ما وجد الزوجة التي تعينه على خدمة القرآن والإيمان فيها ونعمت. إذ لا يضر هذا الزواج بخدمته وعمله للقرآن، والله الحمد والمنة ففي صفوف طلاب النور كثيرون من أمثال هؤلاء، وزوجاتهم لا يقصرن عنهم في خدمة القرآن والإيمان، بل قد يفقنهم ويسبقنهم لما فطرن عليه من

(١) اللمعات، اللمعة الرابعة والعشرون ٢٧٦.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري ١٩٥٨/٥- كتاب النكاح- باب الأكفاء في الدين، برقم (٤٨٠٢)، وأخرجه مسلم ١٧٥/٤، كتاب الرضاع- باب استحباب نكاح ذات الدين، برقم (٣٧٠٨)، وكلاهما من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ٦٣٣/١، كتاب النكاح- باب الأكفاء، برقم (١٩٦٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٥٦، برقم (١٠٦٧).

الله، وساهم في إنقاذ إيمان المرء.

ومن هنا نجد أن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد أوجبت مصاحبة أناس صالحين وقرناء خيِّرين، كما قال تعالى آمراً حبيبه - عليه الصلاة والسلام - بذلك: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَنَيْيُ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطْعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (سورة الكهف، الآية ٢٨).

وكذلك ما جاء عن النبي - ﷺ - أنه قال: {المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال}{^(١)، فالآية الكريمة والحديث النبوي يدلان ضرورة اختيار نخبة صالحة من الناس وملازمتهم وهذا ما تدعوا إليه قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)، فالصديق الحسن هو أنفـس شيء في الوجود، إذ هو حبل للوصول إلى الحق سبحانه؛ لأن الإنسان يتأثر أكثر ما يتأثر بصاحبه، لذا قالت العرب: "الصاحب ساحب، والطبع سراق"، ولهذا السبب أكد النورسي على هذه النقطة الجوهرية في أقواله وفي أفعاله، فيقول: "إن لقاء الأصدقاء ومجالسة الأخوان منبعٌ ثرٌّ للسُّلوان، لما يعاني منه الإنسان من سرعة تبدل هذه الحياة الدنيا، ومن زوالها وفسادها، ومن فنائها وفناء متعتها التي لا تجدي شيئاً، ومن صفعات الفراق والافتراق التي تنزلها بالإنسان. نعم! قد يقطع إنسان مسافة عشرين يوماً ويصرف مائة ليرة لأجل لقاء أخيه لساعات معدودة، ففي هذا الزمان العجيب الذي قلما يوجد فيه صديق صدوق، لا تعد هذه المشقات والمصاعب التي نزلت بنا مع ضياع الأموال ذات أهمية تذكر ازاء رؤية أربعين أو خمسين من الأصدقاء الصادقين والأخوة المخلصين دفعة واحدة طوال شهرين من الزمان، ومجالستهم ومحاورتهم في سبيل الله، والتسلي بهم وتسليتهم تسلية حقيقية، فأنا شخصياً كنت أَرْضَى بهذه المصاعب والمشقات رجاء رؤية واحد من اخوتي هنا فحسب بعد فراقهم عنهم عشر سنوات"^(٢).

ولأهمية الصحبة الصالحة في حياة النورسي كانت دعوته في نشر رسائل النور تركز على هذه الدعامة الصلدة، فقد استطاع بتوفيق من الله تعالى أن يجمع من حوله ثلثة من الرجال جالوا في البلاد وصالوا ذائدين عن الهدى، فاستطاعوا بما يمتازون به من رباطة الجأش

(١) أخرجه الحاكم في مستدرکه من حديث أبي هريرة ٤/١٨٩، كتاب البر والصلة-برقم ٧٣٢٠، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) الشعاعات، الشعاع الثالث عشره ٣٤، والسيرة الذاتية ٤٠١.

أن ينشروا رسائل النور وينتشلوا الناس من حضيض السفاهة ودرك الجهالة والبلاهة، حتى أصبح التأريخ يتغنى بأسمائهم تنشد اسم (عبد الرحمن، وخلوصي، وصبري، وزبير، والحافظ علي، وخسرو) وغيرهم الكثير، فيقول النورسي في وصفهم: "إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليّ بإخوة أقياء جادّين، مخلصين، غيورين، مضحين، لهم أقلام كالسيوف الأمامية، ودفعهم ليعاونوا شخصاً مثلي لا يجيد الكتابة، نصف أمي في ديار الغربية مهجور ممنوع عن الاختلاط بالناس، وحمل سبحانه كواهلهم القوية ما أثقل ظهري الضعيف العاجز من ثقل الخدمة القرآنية، فخفف بفضلله وكرمه سبحانه حملي الثقيل"^(١).

٣- مسألة اختيار البيئة الصالحة لنشر الدعوة، وهذه من إحدى المقاصد العظمى لقاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)، كما يتضح ذلك من خلا سيرة النبي - ﷺ - لما اختار يثرب مكاناً لأنشاء مدينته التي انعكس منها شعاع الإسلام واستضاءت بنوره المعمورة.

ولقد استطاع النورسي - أيضاً- أن يستغل فرصة وجوده . ولو مبعداً ومرحلاً عن وطنه . في ولايتي إسبارطة وقسطموني . مركزاً لانتشار رسائل النور، وكان أهلها خير معينين له على ذلك^(٢)، ولأجل ذلك كان النورسي يتمنى أن يمكث في إسبارطة لشغفه حباً بها وبأهلها الكرام، فيقول: "إن أمنيّتي الكبيرة هي أن أقضي نهاية حياتي في إسبارطه وحواليها. فقد قلت كما قال بطل النور: إن اسبارطة مباركة بالنسبة لي بقضها وقضيضها بتراها وحجرها. حتى اني متى ما اعتزاني الغضب والحدة على الإهانة والتعذيب الذي ألقاه من الحكومات السابقة منذ خمس وعشرين سنة، ما كنت اغضب على حكومة إسبارطة والمسؤولين فيها، بل كنت أنسى بقية المسؤولين لأجل تلك البقعة الطيبة، فما كنت أدعو عليهم"^(٣).

رابعاً: اغتنام الأوقات المباركة للدعاء والعبادة، واختيار أنسب الأوقات والأذكار النبوية.

انطلاقاً من قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) فإن رسائل النور ترشدنا أن ننتهز الأوقات المباركة والأيام العظيمة التي يستجاب فيها الدعاء ويتضاعف فيها الأجر، واعتماد

(١) المكتوبات، المكتوب الثامن والعشرون ٤٧٠.

(٢) ينظر: الملاحق، ملحق قسطموني ١٠٣

(٣) الملاحق، ملحق أميرداغ ٣١٧/٢.

المأثور من الأدعية والأذكار، والأصل في هذا الإرشاد ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من تفضيل بعض الأيام والأوقات على غيرها، كليلة القدر التي قال الله تعالى فيها: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (سورة القدر، من الآية ٣)، فيقول الأستاذ مجيباً عن سؤال حول أفضل دعاء يدعو المؤمن لأخيه: "يجب ان يكون ضمن دائرة أسباب القبول؛ لأن الدعاء يكون مستجاباً ومقبولاً ضمن بعض الشروط، وتزداد الاستجابة كلما اجتمعت شروط القبول. فمنها: الطهور المعنوي، أي: الاستغفار عند الشروع بالدعاء، ثم ذكر الصلاة على الرسول - ﷺ -، وهي الدعاء المستجاب، وجعلها شفيعة للدعاء، وذكر الصلاة على الرسول - ﷺ - أيضاً في الختام؛ لأن دعاءً وسط دعائين مستجابين يكون مستجاباً، وأن يدعو بظهر الغيب، وان يدعو بالمأثور من ادعية الرسول - ﷺ -، وما ورد في القرآن الكريم من أدعية، وأن يدعو بخلوص النية وخشوع القلب وحضوره. وان يدعو دبر الصلوات - ولاسيما- دبر صلاة الفجر. وأن يدعو في الاماكن المباركة، ولاسيما في المساجد، وفي أيام الجمع - ولاسيما- في ساعة الاجابة، وفي الاشهر المباركة ولاسيما في الليالي المشهورة، وفي شهر رمضان ولاسيما في ليلة القدر. فإن الدعاء بهذه الشروط يرجى من رحمته تعالى أن يكون مقروناً بالاستجابة، فذلك الدعاء المستجاب إما أن يُرى أثره بعينه في الدنيا او يستجاب لآخرة المدعو له وحياته الخالدة" (١).

خامساً: أخذ ما يلزم من الحاجات الضرورية وترك الثانوية منها.

تعلمنا هذه القاعدة أمثلة كثيرة في مراعاة فقه الأولويات في حياتنا العملية، كي لا تختلط علينا الأمور، فنقدّم ما حقه التأخير، ونؤخّر ما حقه التعجيل به، ومن ذلك ما ذكره العلماء في مسألة التعلم والتعليم، فالذي ينبغي على طالب العلم كما يقول الإمام الغزالي: "أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة، بل يراعى الترتيب، ويبتدئ بالأهم، فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه..." (٢).

والنورسي حدّثنا من اختلاط غير الضروري بالضروري وتقديمه عليه في حياتنا الدينية والدينيوية على أثر اتباع الهوى والتقليد الأعمى الذي نعاني منه في هذا العصر، حيث يقول: "إنّ هذا العصر العجيب الذي أنقل كاهل الإنسان بالحياة الدينيوية بما كثر عليه من متطلبات الحياة، وضيّق عليه مواردّها، وحوّل حاجاته غير الضرورية إلى ضرورية، بما ابتلاه من تقليد

(١) المكتوبات، المكتوب الثالث والعشرون ٣٤٦.

(٢) إحياء علوم الدين ١/٥٢.

الناس بعضهم بعضاً، ومن التمسك بعبادات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. فهذا العصر العجيب أسدل بهذه الأمور حجاباً دون الحياة الدينية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً أو ثالثياً بالنسبة له، لذا جوزي الإنسان على خطئه هذا بلطمة قوية شديدة حوّلت دنياه جحيماً لا تطاق، وهكذا يتورط المتدينون أيضاً في هذه المصيبة الرهيبة، ولا يشعر قسم منهم أنهم قد وقعوا في الورطة"^(١).

ومن تطبيقات هذه القاعدة هو الاستفادة من إيجابيات المدنية الحديثة في الأمور التي لا تتعارض مع الأحكام الشرعية والمقاصد الدينية، وقد تطرقنا إلى هذا ذلك عند الحديث عن مقاصد قاعدة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ) ولا داعي للتكرار.

المبحث الثالث

قاعدة: (الْأَخْذُ بِالْأَحْوَابِ) تَأْصِيلُهَا وَمَقَاصِدُهَا

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول

تأصيل قاعدة (الْأَخْذُ بِالْأَحْوَابِ)

تعتبر قاعدة الاحتياط من القواعد الشرعية التي تضافرت نصوص الشريعة على اعتبارها والأخذ بها؛ لأنها تقوم على مبدأ الورع الذي هو عماد الإسلام. قال الإمام البخاري الورع بأنه: "الأخذ بالأحوط في شأن الدين والحلال والحرام"^(٢). وقال الإمام السرخسي: "والأخذ بالاحتياط أصل في الشرع"^(٣)، ويقول الإمام الشاطبي: "والشريعة مبنية على الاحتياط، والأخذ بالحزم، والتحرز مما عسى أن يكون طريقاً إلى مفسدة"^(٤).

وعرف المناوي الاحتياط بأنه: "الأخذ بالأوثق من جميع الجهات ومنه قولهم افعل الأحوط، يعني افعل ما هو أجمع لأصول الأحكام وأبعد عن شوائب التأويل"^(٥).

(١) الملاحق، ملحق قسطنطيني ١٣٨.

(٢) صحيح البخاري ٢/٧٢٣.

(٣) أصول السرخسي ٢/٢١١.

(٤) الموافقات ٣/٨٥.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ٣٩.

ولقد دأب العلماء وأئمة المذاهب في العمل بمضمون هذه القاعدة، - ولا سيما - الإمام الشافعي الذي يرى تقديم الأحوط؛ لأنه أقرب إلى مقصود الشارع^(١).
ولقد سار النورسي على نهج مذهبه فكان أحوط الناس وأوثقهم في مسائل كثيرة؛ خشية الوقوع في مخالفات شرعية تضرُّ بصفاء دينه ودعوته، لذا أدرج - حمه الله - ضمن رسائله مجموعة من القواعد الأصولية والفقهية تدخل ضمن قاعدة (الأخذ بالأحوط)، فمن تلك القواعد: قاعدة (درء المفاسد أولى من جلب المنافع)^(٢)، وقاعدة (من محاسن الشريعة سدّ ابواب الفتن)^(٣)، فضلاً عن قواعد أخرى لم يذكرها صراحة، إلا أن التطبيقات الإيجابية التي أوصى بها تشير إليها، كقاعدة (الخروج من الخلاف مستحب)، وقاعدة (إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام).

وجميع هذه القواعد التي عمل بها النورسي في دعوته تستند على أصول قرآنية ونبوية. فمن القرآن الكريم نكتفي بذكر آية واحدة خشية الإطالة والتكرار، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِتَّمُّرُونَ﴾ (سورة الحجرات، من الآية ١٢). قال الفخر الرازي: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِتَّمُّرُونَ﴾ إشارة إلى الأخذ بالأحوط".

وأما أصل القاعدة من السنة النبوية الشريفة، فقد روي عن النبي - ﷺ - قال: {إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ} ^(٤). وكذا ما روي عنه - ﷺ - أنه قال: {دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبةٌ} ^(٥).

وجاء في السيرة الذاتية عن زهد بديع الزمان النورسي وورعه أنه قد: "اتخذ القاعدة

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي ٤/٤٧٠.

(٢) ينظر: الملاحق، ملحق قسطنطيني ١٦٠.

(٣) ينظر: الملاحق، ملحق أميرداغ ١/٢٨٤.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري ٢/٧٢٣، كتاب البيوع - باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، برقم (١٩٤٦)، ومسلم ٥/٥، كتاب المساقاة - باب أخذ الحلال وترك الشُّبُهَاتِ، برقم (٤١٧٨)،

وكلاهما خرجاه من حديث النعمان بشير، واللفظ لمسلم

(٥) تقدم تخرجه.

النبوية الجليلة { دَعَّ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ } دستوراً لحياته من زاوية التصوف الذي وصفه الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، فترك كل ما فيه شبهة، حتى بدأ يقتات على الأعشاب، إلى أن وصل بتليس^(١).

المطلب الثاني

مقاصد قاعدة (الأخذ بالأحوط) وتطبيقاتها في العمل الإيجابي

لو استقرنا رسائل النور لتبيّن لنا أن قاعدة (الأخذ بالأحوط) لم ترد فيها إلا مرة واحدة^(٢)، إلا أن مضمون هذه القاعدة ومقاصدها قد أخذت حيزاً كبيراً من الرسائل، وشغلت جانباً عظيماً حياة الإمام النورسي وسيرته، بل نستطيع أن نقول: بأن جميع ما في رسائل النور من دعوة وإرشاد، تستند على هذا الأصل الجليل الذي يعد لبنة أساسية في الإسلام بدلالات من القرآن الكريم والسنة النبوية، فضلاً عن دلالات من القواعد الأصولية والفقهية الأخرى المتضمنة مقاصد هذه القاعدة، ومن هنا كان من الضرورة بمكان أن نستعرض نماذج من التطبيقات في العمل الإيجابي المتمخضة عنها، وبيان ذلك كالاتي:

أولاً: ترك السياسة الحاضرة^(٣) وهجرها.

إن رسائل النور قد وضحت لقارئها أن النورسي قد نثر من السياسة الحاضرة مستعيذاً منها مرّات بقوله: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة"^(٤)، بل أوجب تركها وعدم الخوض فيها، معتمداً على قاعدة سد الذريعة والأخذ بالأحوط^(٥) وتجنباً من أمور كثير منها:

١- تجنباً من المشاركة في الآثم والمعانة على الباطل؛ لأن السياسة الحاضرة تقوم على مبدأ الخداع والتضليل والتزييف وتشويه الحقائق فضلاً عن كونها وسيلة قمع بيد الأنظمة

(١) السيرة الذاتية ٦٩.

(٢) ينظر: للمعات، اللمعة السادسة عشرة ١٤٨.

(٣) يقول الأستاذ إحسان قاسم الصالحي: "لا شك أن السياسة بمفهومها الشرعي يزاوها المسلم بمواقفه من الأحداث اليومية؛ بيد أن السياسة التي خبرها الأستاذ النورسي وعرف عدم جدواها بل ضررها بالإخلاص والعمل الإسلامي، هي السياسة الميكيفيلية الحاضرة والتي وصفها بالوحش الكاسر فاستعاذ بالله منها" ينظر: هامش السيرة الذاتية ٢٣٧.

(٤) صيقل الإسلام، السانحات ٣٤٠، والسيرة الذاتية ٢٣٧.

(٥) لو تأملنا في هذه القاعدة لوجدناها تشترك مع القاعدتين السابقتين في الغاية والهدف، إذ أن الاحتياط في الأمور يضمن السلامة من الوقوع في المحظورات والمنهيات فيكسب المرء من خلال ذلك صفاء البال وسكينة الروح وراحة الفكر وهذا هو المطلوب.

المستبددة التي تعيث في الأرض فساداً وطغياناً، فيقول: "لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات علّه يخدم الدين والعلم عن طريقها، فذهبت محاولته ادراج الرياح، إذ رأى أن تلك الطريق ذات مشاكل، ومشكوك فيها. وأن التدخل فيها فضول - بالنسبة إليّ - فهي تحول بيني وبين القيام بأهم واجب. وهي ذات خطورة. وأن اغلبها خداع وأكاذيب. وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبي دون إن يشعر، وكذا فالذي يخوض غمار السياسة إما أن يكون موافقاً لسياسة الدولة أو معارضاً لها، فإن كنت موافقاً فالتدخل فيها بالنسبة إليّ فضول ولا يعنيني بشيء، حيث إنني لست موظفاً في الدولة ولا نائباً في برلمانها، فلا معنى - عندئذٍ - لممارستي الامور السياسية وهم ليسوا بحاجة إليّ لتدخل فيها. وإذا دخلت ضمن المعارضة أو السياسة المخالفة للدولة، فلا بد أن أتدخل إما عن طريق الفكر أو عن طريق القوة. فإن كان التدخل فكرياً فليس هناك حاجة إليّ ايضاً، لأن الأمور واضحة جداً، والجميع يعرفون المسائل مثلي، فلا داعي إلى الثرثرة، وإن كان التدخل بالقوة، أي بأن أظهر المعارضة بأحداث المشاكل لأجل الوصول إلى هدف مشكوك فيه، فهناك احتمال الولوج في آلاف من الآثام والاوزار، حيث يتتلى الكثيرون بجريرة شخص واحد، فلا يرضى وجداني الولوج في الآثام والقاء الابرياء فيها بناء على احتمال أو احتمالين من بين عشرة احتمالات؛ لأجل هذا فقد ترك سعيد القديم السياسة ومجالسها الدنيوية وقراءة الجرائد مع تركه السيجارة"^(١).

٢- تجنباً من الموالاتة لجهة معينة تفضي إلى الدفاع عنها ولو كانت على الباطل، فيقول النورسي: "وقد مرت عليّ حادثة جديدة بالملاحظة: رأيت ذات يوم رجلاً عليه سيماء العلم يقدر بعالم فاضل، بانحياز مغرض حتى بلغ به الامر إلى حد تكفيره، وذلك لخلاف بينهما حول أمور سياسية، بينما رأيته قد أثني في الوقت نفسه على مناقف يوافقه في الرأي السياسي! فأصابتني من هذه الحادثة رعدة شديدة، واستعدت بالله مما

(١) المكتوبات، المكتوب السادس عشر ٧٩، والسيرة الذاتية ٢٤١.

آلت إليه السياسة وقلت: «اعوذ بالله من الشيطان والسياسة». ومنذئذٍ انسحبت من ميدان الحياة السياسية^(١).

٣- الخوف من اقحام رسائل النور في الأمور الدنيوية وجعلها أداة للدنيا، فتسقط الحقائق في نظر أهلها، فيقول النورسي: "إن رسائل النور- ونحن الذين نتلقى الدرس منها درساً كاملاً- لن نجعلها أداةً للدنيا قاطبة ناهيك عن سياستها، ونحن لا نتدخل بدنيا أهل الدنيا...، إن القرآن الكريم قد منعنا من السياسة، لئلا تسقط في نظر أهل الدنيا الحقائق التي هي بنفاسة الألباس إلى مستوى القطع الزجاجية التافهة^(٢)."

وقد شهد طلاب النور لأستاذهم النورسي بأنه لم يستغل الدين كأداةٍ للسياسة طوال حياته التي استغرقت أكثر من ربع قرن، وفي مؤلفاته ورسائله التي تربو على مئة وثلاثين رسالة، والتي دقت بإمعان من قبل خبراء مئات المحاكم بل حتى في أحلك الظروف التي تلجئه إلى السياسة لشدة مضايقات الظلمة المرتدين والمنافقين، بل حتى عندما أصدر أمر اعدامه سراً، لم يجد أحدٌ منهم اية أمانة كانت عليه حول استغلاله الدين لأجل السياسة، وقد عدّ طلاب النور ذلك دليلاً على الاخلاص الحقيقي ضمن دائرة رسائل النور^(٣).

٤- الخوف من خسارة السعادة الأخروية حين الاشتغال بالسياسة، فيقول النورسي مجيباً عن سؤال وجه إليه حول سبب تجنُّبه السياسة: "لئلا يضحي بسعيه وفوزه لأكثر من مليارات من السنين حياة خالدة، من جراء تدخل فضولي لا يستغرق سنة أو سنتين من حياة دنيوية مشكوك فيها، ثم إنه يفرُّ فراراً شديداً من السياسة، خدمةً للقرآن والايمان والتي هي أجلُّ خدمة وألزمها وأخلصها وأحقّها. لأنه يقول: إنني أتقدم في الشيب، ولا علم لي كم سأعيش بعد هذا العمر، لذا فالأولى لي العمل لحياة أبدية، وهذا هو الألزم، وحيث إن الايمان وسيلة الفوز بالحياة الأبدية ومفتاح السعادة الخالدة، فينبغي إذا السعي لأجله، بيد أني عالم ديني، مكلف شرعاً بإفاداة الناس، لذا أريد أن أخدمهم من هذه الناحية أيضاً"^(١).

(١) المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرين ٣٣١، والملاحق، ملحق أميرداغ ٣٠٠/١، والسيرة الذاتية ٢٣٧.

(٢) الملاحق، ملحق قسطنطيني ٢٠١.

(٣) ينظر: هامش صيقل الإسلام، الخطبة الشامية ٤٧٦.

(١) المكتوبات، المكتوب السادس عشر ٨٠، والسيرة الذاتية ٢٣٩.

٥- الخوف من التفرق والانشقاق وتفشي روح المنافسد والحسد والبغض بين أهل الحق بسبب السياسة، فيقول النورسي: "حذار.. حذار.. أيها الإخوة من أن تقذفكم التيارات الدنيوية -ولاسيما- السياسية منها، - ولاسيما- التيارات التي تلفت الأنظار نحو الخارج، إلى التفرقة، إذ تجعلكم بعد ذلك عاجزين ضعفاء أمام الفرق الضالة المتحدة، فحذار أن يجري فيكم حُكم ذلك الدستور الشيطاني والعياذ بالله: "الحب في السياسة والبغض في السياسة" بدلا من الدستور الرحماني {الحب في الله والبغض في الله} إذ عندها تعادون أحبا لكم هو في الحقيقة كالملاك، وتولون الحب لرفيق في السياسة وهو كالحناس، وتبدون الرضا لظلمه، وتشاركونه في جنايته ضمنا"^(١).

ثانياً: عدم المشاركة في الثورات والمظاهرات حقناً للدماء وحفاظاً على أمن البلاد واستقراره

تستند دعوة النورسي من خلال رسائله النورانية على قاعدة (الْأَخْذِ بِالْأَحْوَطِ)، وعلى الدساتير القرآنية المتجسدة في هذه القاعدة، فتفرض دعوته المباركة ممارسة أي عمل سلمي مضر بأمن البلاد واستقراره، فالثورات والمظاهرات في نظر النورسي نتائجها وخيمة، لا تثمر إلا العنف والدمار والقتل والتشريد والجوع والفقر، فضلاً عن تدخل الأجنبي في شؤون البلاد؛ لذا رفض - رحمه الله - المشاركة في كثير من الثورات التي دُعي إليها، كالثورة التي قامت بها العشائر الكردية في تركيا بقيادة الشيخ (سعيد بيران) ضد سياسة مصطفى كمال، لعدم رغبته في إهراق دماء الأبرياء من المسلمين في ثورة لا أمل فيها فضلاً عن السلب والنهب الذي سيطول أموال الناس^(٢).

وعملاً بهذه القاعدة يرى بديع الزمان أن "المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة. نعم، إن في مسلكتنا قوة، إلا أننا لم نقم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي، لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي اتباعاً لدستور الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (سورة الإسراء، من الآية ١٥) أي لا يجوز معاينة إنسان بجريرة أخيه أو أحبائه، إن هذه

(١) الملاحق، ملحق قسطنطيني ١٤٤٤.

(٢) ينظر: السيرة الذاتية، ونظرة عامة عن حياة بديع الزمان ٤٣-٤٤.

القوة لا يمكن استعمالها إلاّ ضد الهجمات الخارجية، إن وظيفتنا - وفق دستور الآية الكريمة المذكورة- هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة، لهذا السبب لم تشتعل نار الحروب الداخلية المخلة بنظام الأمن الداخلي في العالم الإسلامي إلاّ بنسبة واحد من الألف"^(١).

ومن جانب آخر ومن باب الأخذ بالأخوطة يرى النورسي أن تترك الخلافات الداخلية مغبة الانقسام والتشردم والتفرق وسيطرة الأعداء الخارجيين، ولا بُدَّ من السعي إلى توحيد الجهود في مواجهة أي اعتداء أجنبي، ومحاولة لمّ الشمل ورأب الصدع، فيقول: "فيا اهل الحق! ويا أهل الشريعة والحقيقة والطريقة! ويا من تنشدون الحق لأجل الحق! أسعوا في دفع هذا المرض الرهيب، مرض الاختلاف بتأديبكم بالأدب الفرقاني العظيم، ألا وهو: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (سورة الفرقان، الآية ٧٢)، فاعفوا عن هفوات اخوانكم واصفحوا عن تقصيراتهم، وغضوا ابصاركم عن عيوب بعضهم البعض الآخر، ودعوا المناقشات الداخلية جانباً، فالأعداء الخارجيون يغيرون عليكم من كل صوب، واجعلوا إنقاذ أهل الحق من السقوط والذلة من أهم واجباتكم الأخروية وأولها بالاهتمام، وامثلوا بما تأمركم به مئات الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من التآخي والتحابب والتعاون، واستمسكوا بكل مشاعركم بعري الاتفاق والوفاق مع إخوانكم في الدين ونهج الحق المبين بأشد مما يستمسك به الدينويون الغافلون، واحذروا دائماً من الوقوع في شباك الاختلاف"^(٢).

ثالثاً: الابتعاد عن فتح باب النقاش مع العلماء ومجادلتهم، والعفو قدر المستطاع عن المسيئين.

ومن مقاصد هذه القاعدة أن لا يفتح باب النقاش والمجادلة مع العلماء، احتياطاً، وتحزراً من الإضرار برسائل النور من جهة وبوحدة الصف من جهة أخرى، فيقول النورسي: "اخوتي! عليكم بمنتهى الحيطة والحذر، وإياكم وإياكم أن تفتحوا باب النقاش مع العلماء، بل يجب التعامل معهم بالحسنى والمصالحة على قدر الإمكان، فلا تتعرضوا لغرورهم العلمي حتى لو كان أحدهم ميالاً إلى البدع ومستحدثات الأمور؛ لأن الزندقة الرهيبة تجاهنا، فيجب عدم

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ/٢/٤٠٠، والسيرة الذاتية ٥٣٢.

(٢) اللمعات، اللمعة العشرون ٢١٦..

دفع هؤلاء المبتدعين إلى صف الملحدين، وإذا ما صادفتم علماء رسميين أرسلوا اليكم خاصة، فلا تفتحوا باب النزاع معهم؛ لأن اعتراضهم باسم العلم سيكون مستنداً بيد المنافقين...^(١).

وحفاظاً على دعوته الإيمانية من الضرر جعله يوصي طلابه بالعفو والتجاوز عن المخطئين، وعدم الولوج معهم في خصومة طويلة، فيقول: "فعلى إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدّوها من قبيل أهون الشرين؛ وليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً، لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا، ولأن العمل السلبي في الداخل لا يُغتفر، ومادام قسم من السياسيين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مساحون قليلاً؛ لذا انظروا إليهم كأهون الشرين، ومن أجل التخلص من أعظم الشر فلا تمسوهم بضرر، بل حاولوا أن تنفعوهم"^(٢).

رابعاً: عدم الدعاء على الظالمين رحمة بذريبتهم.

ومن مقاصد قاعدة الأخذ بالأخوطة يعلمنا النورسي درساً بليغاً في الشفقة والرحمة، فهو يرى من باب الاحتياط عدم الدعاء على الظالمين رافة ورحمة بعائلاتهم من زوجات وبنات وبنين لكيلا يتضرروا من فقد آبائهم بسبب استجابة ذلك الدعاء، فيقول: "لما كانت الشفقة" دستور حياتي منذ ثلاثين سنة، وأساس مسلكي ومسلك "رسائل النور"، فإنني لا أتجنب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدهم بل لا أستطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم؛ وذلك لكي لا أتسبب في إلحاق الضرر بأي شخص بريء، بل إن هذه الشفقة هي التي منعتني من أن أتعرض، أو حتى أن أدعو على بعض الفساق بل الظالمين اللادينيين الذين اندفعوا بحقد شديد في ظلمي، ذلك لكي لا أتسبب في ضرر مادي يلحق بالشيوخ والعجائز المساكين من أمثال والد ذلك الظالم أو والدته، أو في الإضرار بأنفس بريئة مثل أولاده، لذا فمن أجل أربع أو خمس من الأنفس البريئة لا أستطيع التعرض لذلك الظالم الغدار، بل أعفو عنهم أحياناً"^(١).

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ/١/٢٦٦.

(٢) الملاحق، ملحق أميرداغ/٢/٤٠٤، والسيرة الذاتية ٥٣٦.

(١) الشعاعات، الشعاع الرابع عشر ٤١٥

خامساً: الانشغال بالدعوة إلى الله تعالى فحسب وبذل الوسع في انقاذ إيمان

الناس

لأجل هذه الغاية السامية ضحى النورسي بسعادته الدنيوية تاركاً المباح والرخص الشرعية وآخذاً بالعزيمة في الأحكام وما ذلك إلا من باب الاحتياط كي لا تتضرر دعوته في خدمة القرآن والإيمان، ومن تلك المباحات والرخص التي عزف عنها آخذاً بنظرية الاحتياط ما يأتي:

١- البقاء عزباً من دون زواج. فالزواج في الشريعة الإسلامية ترد عليه الأحكام الفقهية المختلفة، من وجوب وندب وحرمة وكراهة وإباحة، وذلك حسب حالة الشخص وما يحيط به^(١)، فالإمام النورسي ترك الزواج من باب فقه الأولويات، ثم أخذاً منه بالأحوط، وكذا تقدماً لمقصد الدين على المقاصد الشرعية الأخرى، شأنه في ذلك شأن كثير من أهل العلم الذين آثروا العلم وخدمته على الزواج^(٢).

يقول النورسي: "في الوقت الذي يلزم لصدم هجوم زندقة رهيبة تُغير منذ أربعين سنة، فدائيون يضطّون بكل ما لديهم، قررت أن اضحي لحقيقة القرآن الكريم لا بسعادتي الدنيوية وحدها، بل إذا استدعى الأمر بسعادتي الأخرى كذلك، فلأجل أن أتمكن من القيام بخدمة القرآن على وجهها الصحيح بإخلاص حقيقي ما كان لي بد من ترك زواج الدنيا الوقي - مع علمي بأنه سنة نبوية - بل لو وُهب لي عشر من الحور العين في هذه الدنيا، لوجدت نفسي مضطرة إلى التحلي عنهن جميعاً، لأجل تلك الحقيقة، حقيقة القرآن؛ لأن هذه المنظمات الملحدة الرهيبة تشن هجمات عنيفة، وتدبر مكاييد خبيثة، فلا بد لصدها من منتهى التضحية وغاية الفداء، وجعل جميع الأعمال في سبيل نشر الدين خالصة لوجه الله وحده، من دون أن تكون وسيلة لشيء مهما كان...، ولقد افترى علماء منكبون، وناس أتقياء، لصالح البدع، أو ظهروا بمظهر الموالين لهم، من جراء هموم عيش أولادهم وأهليهم، فيقتضى منتهى التضحية والفداء، ومنتهى الثبات والصلابة وغاية الاستغناء عن الناس، وعن

(١) ينظر للتفصيل: بدائع الصنائع، للكاساني: ٢/٢٢٨، وبداية المجتهد: ٢/٢، ومغنى المحتاج، للخطيب

الشربيني: ٤/٢٠٣. والمغني، لان قدامة: ٩/٣٤٠. والفقه الإسلامي وأدلته: ٩/٦٤٩١.

(٢) وقد جمع الشيخ عبد الفتاح أبو غدة هذه المواقف وأعلامها في رسالته: العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج.

كل شيء، تجاه الهجوم المرعب العنيف على الدين، - ولاسيما - بعد الغاء دروس الدين في المدارس وتبديل الأذان الشرعي ومنع الحجاب بقوة القانون؛ لذا تركت عادة الزواج الذي أعلم أنها سنة نبوية؛ لئلا أُلج في محرمات كثيرة، ولكي أتمكن من القيام بكثير من الواجبات واداء الفرائض، إذ لا يمكن أن تقترب محرمات كثيرة لأجل أداء سنة واحدة^(١). فحمل الأمر الوارد بالزواج في القرآن والسنة على الاستحباب، وبيّن أنه متوقف على توفر الشروط، وعند تعذر تحقيق هذه الشروط لا يبقى الحكم على ما كان عليه^(٢).

٢- رفض المناصب الدنيوية، والتخلي عنها وعن الصيت والشهرة، لمصلحة راجحة، وأخذاً بالأحوط، ونيلاً لمقصد أسمى وأهم وأولى، وهو الإخلاص وحفظ الدين والنفس من المهالك، ودفعاً للضرر، فالمعلوم من حياة الإمام النورسي أن رئيس الجمهورية "مصطفى كمال" استدعاه إلى أنقرة وعرض عليه منصب الواعظ العام لجميع الولايات الشرقية لتركيا، وبراتب وزيري مغري، بعد أن قرأ بإعجاب رسالته "الخطوات الست" الموجهة لصدّ الاحتلال الإنجليزي وسياساتهم العدائية تجاه الخلافة الإسلامية في اسطنبول، إلّا أن الإمام النورسي رفضه، ورجّح الخدمة الإيمانية على المصالح الأخرى، بعد أن رأى أنّ التفاهم مع أهل السلطة في أنقرة غير ممكن، ولا يجدي هذا المنصب نفعاً راجحاً للمسلمين^(٣)، وقد دار الزمان وتبيّن راجحة ما رآه الإمام.

يقول النورسي: "عازم على ألا أضحي بالمناصب الدنيوية وأمجادها الزائفة وحدها، بل لو أسند إليّ - فضلاً - مقامات معنوية عظيمة، فإنني أضحي بها أيضاً لخدمتي للإيمان والقرآن خشية اختلاط حظوظ نفسي بإخلاصي في الخدمة، وقد قمت بهذا فعلاً"^(٤).

٣- رفض الهدايا والامتناع عن قبولها، احتياطاً وحفاظاً على الإخلاص، وصيانة لدعوته ولرسائل النور، يقول النورسي: "انني لا أقبل الصدقات والمعونات، كما لا أكون

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ ٣٨١/٢، والسيرة الذاتية ٥٥٨

(٢) ينظر: الملاحق، ملحق أميرداغ ٣٨١/٢-٣٨٢.

(٣) ينظر: الشعاعات، الشعاع الثاني عشر ٣٢٤، والملاحق، ملحق أميرداغ ٣٠٢/١، والسيرة الذاتية ٢٢٠.

(٤) الشعاعات، الشعاع الرابع عشر ٤٤٤.

وسيلة لأمثالها من المساعدات، لذا أبيع ملابسي الخاصة وحاجياتي الضرورية، لأبتاع بئمنها - من اخوتي - كتي التي استنسخوها وذلك لأحول دون دخول منافع دنيوية في إخلاص رسائل النور؛ لئلا يصيبها ضرر، وليعتبر من ذلك الأخوة الآخرون، فلا يجعلوا الرسائل وسيلة لأي شيء كان"^(١). ودليل النورسي هو ما جاء في مذهبه، فيقول: "إن السبب المهم للاستغناء عن الناس هو ما يقوله ابن حجر الموثوق حسب مذهبا (الشافعي): يحرم قبول ما يوهب لك بنية الصلاح، إن لم تكن صالحاً، نعم إن إنسان هذا العصر يبيع هديته البخسة بئمن باهظ، لحرصه وطمعه، فيتصور شخصاً مذنباً عاجزاً مثلي ولياً صالحاً، ثم يعطيني رغيفاً هديّة، فإذا اعتقدت أنني صالح - حاش لله - فهذا علامة الغرور، ودليل على عدم الصلاح، وإن لم اعتقد صلاحي، فقبول ذلك المال غير جائز لي، وايضاً إن أخذ الصدقة والهدية مقابل الأعمال المتوجهة للآخرة يعني قطف ثمرات خالدة للآخرة، بصورة فانية في الدنيا"^(٢).

٤- عدم اطلاق اللحية من باب الأخذ بالأحوط صيانة للدين وحفاظا على سلامة الدعوة، وقطع دابر المستهزئين، وفعل النورسي كان من قبيل الموازنة بين ما هو الأهم والمهم، فيقول: "إن إطلاق اللحية سنة نبوية، وليست خاصة بالعلماء، وقد نشأت منذ صغري عدم اللحية وعشت في وسط اناس تسعين بالمئة منهم لا يطلقون لحاهم، هذا وأن الأعداء يعيرون علينا دائماً وقد حلقوا لحي بعض احبابي، فأدركت عندها حكمة عدم اطلاق اللحية، وأنه عناية ربانية، إذ لو كنت مطلقاً اللحية وحلقت، لكانت رسائل النور تتضرر ضرراً بالغاً، حيث كنت لا اتحمل ذلك فأموت، ولقد قال بعض العلماء: لا يجوز حلق اللحية، وهم يقصدون عدم حلقها بعد إطلاقها، لأن حلقها بعد إطلاقها حرام، أما إذا لم يطلقها فيكون تاركاً لسنة نبوية"^(٣).

ويضيف النورسي علّة أخرى تمنعه من إطلاق اللحية فيقول: "إن سبب عدم عملي بهذه السنة النبوية هو: إن لي أكثر من مليون من الطلاب، فإن أطلقت اللحية فهم يطلقونها شيئاً وشباباً، وستكون لحيه الشباب موضع استهزاء لدى أقرانهم، ولهذا أجلت اتباع هذه

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ/١/٣٠٠.

(٢) المكتوبات، المكتوب الثاني/١٧.

(٣) الملاحق، ملحق أميرداغ/١/٢٣٦.

ومن يتأمل كلام النورسي يرى أن حلق اللحية كان لضرف مؤقت حيث اشتد فيه الحرب على الإسلام، وسعى الملحدون من كل جانب مسخ الدين وتشويه حقائقه واجتثاثه من قلوب أهلها، فالضرورة الدينية هي التي أجبرت النورسي على مخالفة هذه السنة النبوية الشريفة، ويرى أنه متى زالت هذه الضرورة فإن الواجب يقتضي أعفاء اللحية وتحريم حلقها امتثالاً للسنة المطهرة، وقد صوّب رأيه هذا في عصره علماء إسطنبول وأكثرهم تحريماً وبجناً، والذي والعالم الجليل السيد "علي رضا"، وهو من أكبر علماء إسطنبول وأكثرهم تحريماً وبجناً، والذي تولى في أغلب الأوقات منصب مفتي الأنام، وكان لفترة أميناً للفتوى أيضاً^(٢).

سادساً: الابتعاد عن الاختلاط بالنساء من غير ضرورة شرعية

فمن باب الأخذ بالأحوط يرى النورسي تجنب الاختلاط بالنساء من غير ضرورة شرعية أو حاجة ملحة تجنباً من الوقوع في عواقب وخيمة منها:

١- يرى النورسي أن التبرج والاختلاط يثيران هوى النفس، ويطلق الشهوات من عقالها، ويؤدي هذا حتماً إلى الإفراط وتجاوز الحدود وإلى ضعف النسل وانهايار القوى، حيث إن الرجل الذي يمكنه أن يقضي وطره الفطري في شهر أو في عشرين يوماً يظن نفسه مضطراً إلى دفعه كل بضعة أيام، وحيث إن هناك عوارض فطرية - كالحيض - تجنّبها عن أهلها وقد تطول خمسة عشر يوماً، تراه ينساق إلى الفحش إن كان مغلوباً لنفسه^(٣).

٢- ويرى النورسي أيضاً أنه: "كلما دخلت امرأة حسناء في مجلس من مجالس الإخوان تنبّه عرق الرياء والحسد والمنافسة. ففي تكشّف النساء تكشف عن الأخلاق السيئة في الإنسان المتحضر"^(١).

٣- ويرى النورسي أن هناك حقيقة أخرى تتعلق بالنتائج والآثار السيكولوجية المترتبة على وضع الاختلاط والعري المبدول، فالرغبة الشهوية أو الفحولة الرجالية تنكسر على

(١) ينظر: السيرة الذاتية ٥٦٠، والشهود الأواخر، شهادة حلمي آريجي ٢/٢٢٩.

(٢) ينظر: الملاحق، ملحق قسطنطيني ١٨٧.

(٣) ينظر: للمعات، الممعة الرابعة والعشرون ٢٧٩.

(١) المكتوبات، نوى الحقائق ٦٠٣.

إيقاع تَوَطُّدِ ظاهرة التعري الأثوي، الأمر الذي ينعكس بالسلب على عملية الإنجاب والإنسال^(١).

فالتحذير من المخالطة بين الرجال والنساء هي لسدّ باب الفتنة، وهذه المسألة قد أجمع عليها العلماء وأئمة المذاهب، فالكتب الفقهية زاخرة بالفروع والجزئيات التي تشدد على ضرورة عدم المخالطة بين الجنسين لما فيها من مفسد وعواقب وخيمة، يقول ابن القيم الجوزية (ت ٧١٥هـ): "أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفرج ومجامع الرجال...، وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - النساء من المشي في طريق الرجال والاختلاط بهم في الطريق، فعلى ولي الأمر أن يقتدى به في ذلك...، ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة...، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال والمشى بينهم متبرجات متجملات، ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية قبل الدين لكانوا أشد شيء منعاً لذلك".

سابعاً: إحسان الظن بالناس

يرى النورسي عملاً بنظرية الاحتياط وجوب إحسان الظن بالناس خوفاً من الوقوع في الإثم إذا كان الظن في غير موقعه الصحيح عملاً بالدستور القرآني: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (سورة الحجرات، من الآية ١٢).

ويذكر أحد طلابه بأن الأستاذ لم يكن يقبل أن يغتاب أحد أمامه، فإذا ما قلنا في مجلسه: يا أستاذنا أن فلاناً قال كذا وكذا...، يجيبنا بقوله: أنتم على خطأ، إنه صديق حميم لي، وهو من قراء رسائل النور، وشخص مثله لا يقول ما تذكرونه عنه، كأنكم تريدون أن تقطعوا ما بيننا من علاقات ووشائج، وأحياناً كانت تردده رسالة أو يقول له أحدهم: إن العالم الفلاني يعادي الأستاذ ورسائل النور، ويقول الأستاذ: إن هذا الرجل هو من أهل العلم فهو صديقنا، فيضطر القائل أن يسكت، وكان دائماً يحاول أن يؤول الأمور بحسن الظن،

(١) ينظر: النورسي في رحاب القرآن، لسليمان عشراي ٤١١.

ويجتنا على ذلك ويقول: نحن مكلفون بحسن الظن^(١).

ثامناً: الابتعاد عن تكفير المسلمين أو لعنهم

ربى النورسي طلابه على مبدأ الشفقة والرحمة في التعامل مع جميع الناس، حتى أننا نلتمس هذه الحقيقة من طلابها عند لقائنا بهم فضلاً عما هو مكتوب في رسائل النور ومدوّن في صفحاتها، فالنورسي أرشد طلابه ضرورة التثبت والتحرز من تكفير المسلمين أو لعنهم، ما داموا مؤمنين، ولم يظهر منهم كفرةً بواحاً وإن كانوا مخالفين له ولدعوته، وهذا من قبيل الأخذِ بالأخوطة، فقد يُكفّر شخصٌ وليس فيه ما يستوجب كفره فتعود إلى مَنْ كَفَرَهُ، كما جاء في الحديث الشريف: {إِنَّمَا أَمْرِي قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ} (٢).

يقول النورسي: "لأجل إثارة الموظفين المسلمين ضدي، يشيعون أن سعيداً يقول: أنهم لا إيمان لهم ولا ودين. وقرأ ذلك بصورة رسمية في المحكمة....، أقول الآن أمام هذه الحالة: أولاً: نظراً لما جُبِلْتُ عليه فطرياً، من شفقة ورحمة، فقد عُرف عني ابتعادي عن التكفير خلافاً لبقية علماء الدين. ثانياً: رغم أن المذهب الحنفي يعتبر العديد من المواد كُفراً، فإن المذهب الشافعي لا يعتبر تلك الحالات كفرةً. وإنما من الكبائر، ومع أنني شافعي المذهب، إلا أنني أتردد في الحكم بالكفر إن كان للتأويل مجال. ولأني أرى التكفير أمر ثقيل جداً. فلا يُحكم بالكفر إلا إذا ظهر كفر بواح. ثالثاً: إنني أقصد في أقوالي بكلمات مثل (بدون دين) أو (زنديق)، تلك الجهات التي لم يسبق لي معرفتها، والتي تقوم منذ أربعين عاماً بمحاربة الإسلام والإيمان في هذه الأمة، تلك الهيئة التي جذورها في أوروبا. إنني أسامح الكثيرين من الذين يعذبونني ويظلمونني، من أجل المظلومين. ولكن أحياناً تأتيني حالات من العصبية والحدة، أقول عنهم: إنهم من أهل الضلالة. أي إنهم بأعمالهم وحركاتهم يقعون في دائرة الفسق والضلالة والظلم. وهذا لا يعني وقوعهم في الكفر. رابعاً: إن التحدث عن أناس غير محددين أو مذكورين بالاسم كالقول: إن من يعمل هذا العمل هو منافق، أو بلا دين، أو

(١) ينظر: السيرة الذاتية ٥٩٥.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢٦٣/٥، كتاب الأدب- باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، برقم (٥٧٥٢)، وأخرجه مسلم ٥٦/١، كتاب الإيمان- باب بيان حال إيمان مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَا كَافِرُ، برقم (٢٢٥) وكلاهما من حديث عبدالله ابن عمر، واللفظ لمسلم.

كافر لا يُعتبر حتى بحكم الغيبة والنميمة. كما يذكر القرآن الكريم عبارات شديدة حول أناس غير محددين. إلا أن المدعي العام يحاول التلميح أن المقصود أشخاص محددون. وهو بذلك يُكفّر نفسه بنفسه. ومحاولته إصاقها بي إجراء غير قانوني تماماً وكلياً^(١).

أما في مسألة اللعن - ولا سيما - فيما يتعلق بلعن يزيد وأمثاله من الظالمين كالحجاج والوليد، فإن النورسي قد مأل إلى رأي السيد شريف الجرجاني، فيقول: "حتى أن سعد الدين التفتازاني وهو من أئمة علم الكلام وأهل السنة الذي جوّز تلعين يزيد والوليد وتضليلهما، قد انبرى له السيد الشريف الجرجاني وهو من أجلة علماء أهل السنة قائلاً: "مع أن يزيد والوليد فاجران وظالمان غداران إلا أن العلم بانهما قد رحلا إلى الآخرة على غير الايمان من أمور الغيب. ولأن هذا غيب ولا يُعلم به علماً قاطعاً بأنهم قد تركوا الدنيا على غير الايمان وليس لنا دليل قطعي ولا نص جازم على ذلك، وهناك احتمال التوبة وذهابهما من الدنيا على الايمان، فلأجل هذا لا تجوز اللعنة بمثل هذا التخصيص والتلعين الشخصي، وانما تجوز اللعنة إذا كانت عامة كأن يقول: لعنة الله على الظالمين والمنافقين. والأ فلا ضرورة لغير هذا النوع من اللعنة ولا لزوم لها بل لها ضرر"^(٢).

وخلاصة الأمر: إنّ الإمام النورسي دأبه الحفاظ على وحدة المسلمين وجمع كلمتهم، لذا كان يوصي طلابه من باب الحيطة والحذر بعدم الخوض في مسائل النزاع، حفاظاً على راحة جماعته وصيانةً لعدم زعزعتهم^(٣).

تاسعا: معاملة غير المسلمين ولا سيما أهل الكتاب بالحسنى وعدم جرح مشاعرهم

فالنورسي - رحمه الله - واستناداً على قاعدة (الأخذِ بالأخوطة) المستلزمة من فيض القرآن الكريم، ودفعاً للضرر الأشد، وسداً لباب الوقوع في المحرمات، والتزاماً بفضائل الأخلاق، يرشدنا ضرورة احترام الناس وإن كانوا غير مسلمين، ولم يجز تحقيرهم أو التعرض لهم بكلمات جارحة، حفاظاً على منهجية الدعوة المتسمة بالرحمة والتوقير، فضلاً عن ذلك فإن فيه تحاشياً وتلافياً لأن يتناولوا على الإسلام وحقائقه بكلمات نائية وألفاظ سيئة، كأن

(١) الشهود الأواخر، شهادة محمد قايها ٢٧١-٢٧٢.

(٢) الملاحق، ملحق أميرداغ ٢٨٤/١.

(٣) ينظر: الملاحق، ملحق قسطنطيني ٢٠٤.

يسبوا الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَذَرُهمَ بَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٠٨).

ففي معرض الجواب عن أسئلة وجهتها العشائر الكردية للنورسي تتوضح لنا حكمة الآية: "سؤال: إن قسماً من أفراد (جون تورك) يقولون: لا تخاطبوا النصارى ب: (يا كافر) استهانةً بهم، فهم أهل كتاب..! لماذا لا نخاطب الكافر ب (أيها الكافر)؟!". الجواب: مثلما لا تقولون للأعور: أيها الأعور! لئلا يتأذى، فهناك نهي عن آذاهم...، وثانياً للكافر معنيان: فالأول: وهو المتبادر إلى الذهن عُرفاً وهو: المنكر للخالق سبحانه والملحد الذي لا دين له، فهذا المعنى ليس لنا الحق في إطلاقه على أهل الكتاب. وثانيه: هو المنكر لرسولنا الأعظم - ﷺ - وللإسلام، فهذا المعنى، لنا الحق أن نطلقه عليهم، وهم راضون به كذلك، ولكن لما كان المعنى الأول هو الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة، صارت تلك الكلمة، كلمة تحقير واهانة واذى..."^(١).

عاشراً: الاتفاق مع الروحانيين المتدينين من النصارى

يرى النورسي أن الضرورة والاحتياط تقتضيان الاتفاق مع الروحانيين المتدينين من النصارى وترك جميع ما يثير الخلافات والمناقشات؛ دعفاً لعدوهم المشترك المتعدي؛ لأن الكفر المطلق يشن هجوماً عنيفاً^(٢)، وتوجيه النورسي مطابق لما أمر به الله تعالى قائلاً: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية ٦٤).

حادية عشرة: اغتنام أوقات الفراغ والصحة والغنى والشباب في الطاعة والحاجات النافعة.

تعلمنا رسائل النور في أغلب صفحاتها أن الإنسان موظف مأمور، وأنه لم يخلق سدى حتى يتصرف في عمره كيفما يشاء، وأن هناك حياة أبدية في انتظاره؛ لذا يستوجب عليه أن يغتنم حياته الدنيوية في الطاعة والعبادة وما هو نافع لنفسه وللعباد من بعده، حتى يضمن

(١) صيقل الإسلام، المناظرات ٣٧٤.

(٢) ينظر: هامش اللغات، اللعة العشرون ٢١٠، والملاحق، ملحق أميرداغ ٢٨٣/١.

لنفسه سعادة خالدة في الآخرة، فمن باب الاحتياط يستلزم على الإنسان استثمار جميع أوقاته من فراغ أو صحة أو غنى أو شباب في تحقيق هذا المقصد، كما أمر النبي (ﷺ) بذلك قائلاً: {اعْتَنِمِ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ} (١). يقول النورسي: "اعلمي أيتها النفس! إن الأمس قد فاتك. أما الغد فلم يأت بعد، وليس لديك عهد أنك ستملكينه، لهذا فاحسي عمرك الحقيقي هو هذا اليوم. وأقل القليل أن تلقي ساعة منه في صندوق الآخرة، وهو المسجد أو السجادة لتضمني المستقبل الحقيقي الخالد" (٢).

الخاتمة

توصل الباحث بعد الغوص في التفاصيل المستفادة من رسائل النور إلى جملة من النتائج أبرزها:

- ١- إن تطبيق تلك القواعد قيمية بإحداث التوازن والاستقرار في المجتمعات البشرية، وجديرة بأن تكون دعامة في ترسيخ معالم الحضارة الإنسانية، وإبراز حسناتها وجمالها وكمالها، فهذه القواعد تكتنف في أحضانها مقاصد سامية مدعاة إلى تكوين مدينة قرآنية تلي جميع احتياجات الإنسان المادية منها والروحية، لدرجة يشعر معها أن الدنيا قد انزوت له فينطلق في جنباتها؛ ليؤدي مهامه التي وُكِّلَ بها، وينجز وظائفه التي فيها صلاح معاشه ومعاده.
- ٢- العمل الإيجابي أساس جميع الفضائل، وهو مبدأ عام، ومفاده أن يعمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم اصلاً.
- ٣- إن رسائل النور تستعرض في طياتها مسيرة الإنسان في آفاق الكون ليجد إجابات عن أسئلة يفرضها عليه عقله تدور حول حقيقته هو كإنسان مُكْرَمٍ مؤهل لمسك زمام المسؤولية الآنية الدنيوية؛ لاستحصال خلود دائم أخروي، ووصال أبدي في رحاب الرحمن وفي دار ضيافة صمدانية قدسية، فالظفر والفوز بهذا النعيم المقيم لا يكون

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) ٣٤١/٤، كتاب الرقاق، برقم (٧٨٤٦)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) الكلمات، الكلمة الحادية والعشرون ٣٠٢.

بمجرد التمني أو بالاستغراق في الآمال من دون تعب وكدٍّ، بل لا بد من تشمير ساعد الجِد والعزيمة، والأخذ بمقتضى الدساتير القرآنية وقواعدها وتطبيقها في الواقع، ورسم المستقبل الآتي على وفقها، وتصحيح أخطاء الماضي بالاستعانة بما تحويه من حكم رشيدة.

٤- معرفة الإنسان بأن الله تعالى هو الذي يبتليه بالخير والشر، والصحة والمرض، والغنى والفقر تجعله في حالة من السكينة والقرار، فيطمئن بما هو عليه حاله، فيصفو باله، ويهدأ فكره، وتستقر روحه في هناء، فيتمكن الفرد أن يعيد بناء نفسه من جديد، ويياشر أعماله التي كلف بها من دون تذكر لآلام الماضي، أو الخوف مما هو آت، فيكون ابن يومه لا غده.

٥- لا بد أن يوازن الإنسان بما أنعم الله تعالى عليه من عقل، فضلاً عما تفضّل عليه من شريعة وبين ما هو ضروري وبين ما هو تكميلي، آخذاً بالضروريات من باب الأهم ثم المهم؛ ليتدارك حاجاته الأساسية، بدلاً من الوقوع في دوامة الفوضى المعيشية.

٦- نظرة الإنسان إلى الكون لا بد أن تكون من زاوية المصلحة الشرعية لا من زاوية المصلحة الأنانية؛ لأن نظرتَه إليه من الزاوية الأولى تعطي قيمة حقيقة للحياة الدنيوية باعتبارها أساساً لحياة أخروية دائمة، فيستوعب جمالها، بما أودع الله تعالى فيها من العجائب والحكم، فيغدو ذلك الإنسان فياضاً بالخير، وجوِّاداً بالكرم على مخلوقات الله تعالى، أما إذا نظر إليها من الزاوية الثانية -زاوية المصلحة الأنانية- تكون الحياة بالنسبة إليه محصورة في متاع فانٍ، ويرى الكون جميلاً إذا ما وافق مصلحته، وعبوساً قمطريراً إذا ما خالفها.

٧- إن مهمة الإنسان في الأرض استعمارها وفق شرع الله تعالى وترسيخ أحكامه، ولا يكون ذلك إلا على بصيرة ومعرفة، ودراية وخبرة، وأن يكتسب النافع من العلوم التي تعينه على تحقيق هدفه.

٨- إن الدعوة إلى الله تعالى وظيفه كل مؤمن بحسب موقعه ونوع عمله، ولا بد أن يحرص نظره في التبليغ والإرشاد، ولا يلتفت إلى نتائج دعوته وثمارها، فإنها مختصة بالله تعالى إذ التوفيق والهداية بيده جلّ جلاله.

٩- قوام الحياة هي المحبة والإخاء، ومن دونهما يكون طعم العيش مرّاً علقماً.

- ١٠- الصدق لا يثمر عنه إلا راحة البال والنجاة، إذ هو منبع الحق والحقيقة، بخلاف الكذب الذي يستخدمه الكافر لستر الحقائق والتدليس على طالبيه.
- ١١- إن حسن الظن يبعث الثقة في النفوس، والراحة للقلب؛ فينجو الإنسان من شرّ الحقنة والغضب وتوهج الكراهية والحقد، فينام قرير العين، صافي الذهن، مرتاح خاطر، وقد نجح من إثم سوء الظن.
- ١٢- إن ضرر الوسوسة إنما هو في توهم الضرر، أي إن ضرره على القلب هو ما نتوهمه نحن من أضرارها.
- ١٣- إن مَنْ أَحْسَنَ رُؤْيَتَهُ حَسُنَتْ رُؤْيَتُهُ وَتَفَكَّرَهُ، فَتَحَسَّنُ رُؤْيَاةَهُ، وَيَسْتَمْتَعُ بِحَيَاتِهِ.
- ١٤- إن حُسنَ الخطاب أساسٌ لإقناع الخصوم وليس بالضغط والإجبار، وإن تحري الحقيقة لا يكون إلا بالمحبة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب.
- ١٥- الحياة العائلية مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها، وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين. وأن بيت كل فرد هو عالمه وديناه الخاصة، وأن سعادة الرجل والمرأة لا تتحقق إلا باجتماعهما في سماء الحياة الزوجية المرتكزة على الحقائق الإيمانية.
- ١٦- إن الصديق الحسن هو أنفس شيء في الوجود، إذ هو حبل للوصول إلى الحق سبحانه، ومنبر للعروج نحو الكمال.
- ١٧- إن السياسة الحاضرة تقوم على مبدأ الخداع والتضليل والتزييف وتشويه الحقائق، فضلاً عن كونها وسيلة قمع بيد الأنظمة المستبدة التي تعيث في الأرض فساداً وطغياناً، فتركها واجب وأولى.
- ١٨- إن الولاء لا يكون إلا لله تعالى، وأن الانشغال بالسياسة يثير في الإنسان عرق الموالاتة لجهة معينة؛ فيكون شريكاً في الظلم الذي ترتكبه هذه الجهة.
- ١٩- من محاسن الشريعة سد أبواب الفتن، فلا ينبغي الخوض في مسائل تاريخية، وأحداث ماضية وقعت إلا بالقدر الذي يستوحى منها التشجيع على العمل الإيجابي، ولا الخوض في مسائل اجتهادية مختلف فيها، أو في قضايا فرعية، وينبغي ترك النقاش والجدال، ومحاولة الحفاظ على وحدة الصف والكلمة، كي لا يحصل النزاع والتخاصم؛ فيعم البلاد العنف والفوضى؛ فتراق فيها دماء الأبرياء، ويتدخل في شؤونها الأعداء.
- ٢٠- إن تكفير المسلمين أمر في غاية الخطورة، إذ الحيلة تلتزم أن لا يُكفّر مؤمن إلا إذا

ظهر منه كفوفاً بواحا، وإلا عاد الكفر إلى من ألقى تهمة الكفر.

- ٢١- معاملة الناس بالحسنى - ولا سيما - مع غير المسلمين واجبة، ومن مقتضياتها عدم جرح مشاعرهم، وتلافي خدش كرامتهم، والحذر من الاستهزاء بمقدساتهم، كي لا يسلفوا المسلمين بالسنة حداد نابية، ويتناولوا على مقدساتهم.
- ٢٢- ضرورة دخول المسلمين مع الروحانيين المتدينين من النصارى في صلح على أساس القاسم الإيماني المشترك، وتوحيد الجهود في مواجهة جبهة الإلحاد الذي يمثل الكفر المطلق.

قائمة المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم
- ١- إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت-لبنان.
- ٢- أدب الدنيا والدين: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٣- الأشباه والنظائر: للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٤- أصول السرخسي: للسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت ٤٨٣هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٥- الإعجاز والإيجاز: أبو منصور عبد الملك عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار الغصون، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، بيروت-لبنان.
- ٦- الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفى : ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة ١٥، ٢٠٠٢م
- ٧- البحر المحيط في أصول الفقه: لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٨- بداية المجتهد و نهاية المقتصد: لابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت ٥٩٥هـ)، ط ٤، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٩٥هـ. ١٩٧٥م.
- ٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: الكاساني، علاء الدين (ت ٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان ١٩٨٢م.
- ١٠- البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
- ١١- تاريخ ابن الوردي: لزين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (٧٤٩هـ)، دار الكتب العلمية،

- ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، لبنان - بيروت.
- ١٢- التبصرة: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، ط ١، ١٩٨٥ م، بيروت.
- ١٣- تهذيب الكمال: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة ١، ١٩٨٠ م.
- ١٤- التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف زين الدين المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر - بيروت، دمشق، ط ١، ١٤١٠ هـ.
- ١٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٤، ١٤٠٥ هـ.
- ١٦- خريدة القصر وجريدة العصر: لعماد الأصبهاني، من دون طبعة.
- ١٧- ديوان الإمام الشافعي، لمحمد بن إدريس الشافعي، ط ١، ١٩٩٦ م.
- ١٨- الرسائل: لأبي عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ، لبنان-بيروت، الطبعة ١.
- ١٩- زهرة الأكم في الأمثال والحكم: لأبي علي الحسن بن مسعود بن محمد نور الدين اليوسي (ت ١١٠٢ هـ)، المطبعة الوطنية، ١٩٧٦.
- ٢٠- السلسلة الصحيحة: لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، مكتبة المعارف - الرياض.
- ٢١- سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
- ٢٢- سنن الترمذي (الجامع الصحيح): لأبي عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٣- السيرة الذاتية: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١ م.
- ٢٤- الشعاعات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١ م.
- ٢٥- شعب الإيمان: للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُجُردِي الخراساني (ت ٤٥٨ هـ)، حققه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، ط ١، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٢٦- الشهود الأواخر: لنجم الدين شاهينر، ترجمة: مأمون رشيد عاكف، دار سوزلر للنشر، ط ١، ٢٠١٢ م، مصر-القاهرة.
- ٢٧- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر): لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

- ٢٨- صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٩- صيقل الإسلام: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٣٠- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مطبعة المدني - القاهرة.
- ٣١- العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي، دار صادر، ط ١.
- ٣٢- الفقه الإسلامي وأدلته: أ. د. الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت ١٤٣٧هـ)، ط ١٢، دار الفكر - سورية - دمشق.
- ٣٣- الكلمات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٣٤- لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفيقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ١.
- ٣٥- اللغات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٣٦- المثوي العربي النوري: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٣٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.
- ٣٨- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٣٩- المستدرک علی الصحیحین: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٤٠- المستقصى في أمثال العرب: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة ٢، ١٩٨٧م.
- ٤١- مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٤٢- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٤٣- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: للخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الشافعي

- (ت ٩٧٧هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٤٤ - المغني: لابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلوة، ط ٣، عالم الكتب، الرياض - السعودية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٤٥ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٤٦ - المكتوبات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٤٧ - الملاحق: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٤٨ - الموافقات: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط ١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ٤٩ - نظرة عامة عن حياة بيع الزمان سعيد النورسي: لإحسان قاسم الصالحي، ار سوزلر للنشر، ١٠، ٢٠١٠م - مصر - القاهرة.
- ٥٠ - النورسي في رحاب القرآن: لسليمان عشراقي، نسخة موجودة بصيغة وورد.